دراسة أدب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول" لتوفيق حبيب بالمنظور ماري لويز برات

بحث جامعي

إعداد:

إلهام مذكر

رقم القيد: ٢٢٠٣٠١١١٠٠١٨

قسم اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠٢٦

دراسة أدب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول" لتوفيق حبيب بالمنظور ماري لويز برات

بحث جامعي

مقدم لاستيفاء شروط الاختيار النهائي للحصول على درجة سرجانا (S-١)

في قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالكح إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

إعداد:

إلهام مذكر

رقم القيد: ٢٢٠٣٠١١١٠٠١٨

المشرف:

الدكتور محمد زاواوي الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨١٠٢٢٤٢٠١٥٠٣١٠٠٢

قسم اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠٢٦

تقرير الباحث

أفيدكم علما بأنني الطالب :

الاسم : إلهام مذكّر

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠٠١٨

موضوع البحث : **دراسة أدب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول" لتوفيق حبيب بالمنظور ماري لويز برات**

أحضرته وكتبته بنفسي وما زدته من إبداع غيري أو تأليف الآخر. وإذا ادّعي أحد في المستقبل أنه من تأليفه وتبين أنه من غير بحثي، فأنا أتحمل المسؤولية على ذلك ولن تكون المسؤولية على المشرفين أو مسؤولي قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

تحريرا بمالانج، ١٣ مايو ٢٠٢٦م.

الباحث

إلهام مذكّر

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠٠١٨

تصريح

هذا تصريح بأن رسالة البكالوريوس لطالب باسم إلهام مذكّر تحت العنوان **دراسة أدب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول" لتوفيق حبيب بالمنظور ماري لويز برات** قد تم بالفحص والمراجعة من قبل المشرف وهي صالحة للتقديم إلى مجلس المناقشة لاستيفاء شروط الاختبار النهائي وذلك للحصول على درجة البكالوريوس في قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

مالانج، ١٣ مايو ٢٠٢٦م.

المشرف

الدكتور محمد زاواوي الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨١٠٢٢٤٢٠١٥٠٣١٠٠٢

رئيس قسم اللغة العربية وأدبها

الدكتور عبد الباسط الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٨٢٠٣٢٠٢٠١٥٠٣١٠٠١

المعرف

عميد كلية العلوم الإنسانية

الأستاذ الدكتور محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠

تقرير لجنة المناقشة

لقد تمت مناقشة هذا البحث الجامعي الذي قدمه :

الاسم : إلهام مذكّر

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠٠١٨

موضوع البحث : **دراسة أدب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول" لتوفيق حبيب بالمنظور ماري لويز برات**

وقررت اللجنة نجاحه واستحقاقه درجة سرجانا (**S-١**) في قسم اللغة العربية وأدبها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

تحريرا بمالانج، ٤ يونيو ٢٠٢٦م.

لجنة المناقشة

التوقيع

١- رئيس المناقش: الدكتور عبد المنتقم الأنصاري، الماجستير ( )

رقم التوظيف: ١٩٨٤٠٩١٢٢٠١٥٠٣١٠٠٦

٢- المناقش الأول: الدكتور محمد زاواوي، الماجستير ( )

رقم التوظيف: ١٩٨١٠٢٢٤٢٠١٥٠٣١٠٠٢

٣- المناقش الثاني: الدكتور محمد صافي فوزي، الماجستير ( )

رقم التوظيف: ١٩٧٦٠٦١٦٢٠٠٠٣١٠٠٠

المعرف

عميد كلية العلوم الإنسانية

الأستاذ الدكتور محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٣

استهلال

قُلْ سِيْرُوْا فِي الْاَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ بَدَاَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللّٰهُ يُنْشِئُ النَّشْاَةَ الْاٰخِرَةَ ۭ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شيئ قَدِيْرٌ

(سورة العنكبوت: ٢٠)

إهداء

بكل تواضع وامتنان عميق، أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

١. والدي الحبيب عابدين ووالدتي الحبيبة رينا حامدة. لا أستطيع أن أجد الكلمات الكافية لأرد جميلكم. شكراً لكم على جهودكم الجبارة التي بذلتموها حتى يحصل أطفالكم على أفضل تعليم. شكراً لكم لأنكم كنتم الملاذ الأول الذي أفضي إليه بمشاكلي، والمكان الذي نتبادل فيه الأفكار، ونقوي بعضنا البعض دائماً. أدرك أنكم دفعتم ثمناً باهظاً من الوحدة والشوق في المنزل من أجل السماح لأطفالكم بالرحلة بحثاً عن العلم خارج المنطقة. هذه الشهادة هي ملككم.

٢. الأخوة والأسرة والأقارب. شكراً على كل أشكال الدعم، سواء المادي أو المعنوي. على الرغم من أننا لم نكن معاً جسدياً دائماً، إلا أنني أشعر أن دعواتكم التي ترفعونها إلى السماء ترافقني دائماً وتسهل خطواتي كباحث أثناء وجودي في الغربة.

٣. المعلمون والمدرسون والأساتذة. شكراً لكم على تعليمي العلوم والقرآن. شكراً لكم على توجيهي لدراسة الأدب العربي. على الرغم من أنني كنت في البداية في حيرة من أمري بشأن هدف هذا التخصص، إلا أنني الآن أشعر بالامتنان الشديد لأنني على الأقل أستطيع فهم قراءات الصلاة، والأدعية، ودراسة العلوم الدينية بشكل أعمق من خلال هذه اللغة.

٤. الأصدقاء من المهاجرين وأصدقاء الدراسة. شكراً لكونكم عائلتي الثانية طوال هذه السنوات الأربع تقريباً. وبشكل خاص، شكراً لشخصية محلية (لا يمكن ذكر اسمها) كنت أكن لها الإعجاب منذ بداية الدراسة. شكراً لكونك جزءاً من عملية نضوجي وتقديمك دروساً قيّمة حول كيفية التصرف.

أدعو الله أن ييسر خطواتكم في المستقبل ويحقق لكم كل ما تسعون إليه. آمين.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تكتمل الأعمال الصالحة، وبفضل الله تتيسر الصعوبات، وبتوفيقه تتحقق الأهداف. نحمده، ونلتمس عونه ومغفرته، ونلتمس العون من الله من شر أنفسنا ومن خطأ أعمالنا. فليتساقط الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة.

أُعدت هذه الدراسة لتلبية متطلبات الامتحان النهائي للحصول على درجة البكالوريوس (**S−١**) في قسم اللغة العربية وأدبها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج. لم تكن رحلة إعداد هذا العمل سهلة، بل مرت بمراحل عديدة تطلبت الجد والاجتهاد والصبر والمثابرة. يدرك الباحث أن إنجاز هذا العمل لا ينفصل عن مساعدة ودعم العديد من الأطراف.

أما عنوان هذا البحث فهو: ''دراسة أدب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) ''رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' لتوفيق حبيب من منظور ماري لويز برات.''

وبكل تواضع وامتنان، يتقدم الباحث بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى:

١. فضيلة مديرة جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، الأستاذة الدكتورة إيلفي نور ديانا، الماجستير.
٢. فضيلة عميد كلية العلوم الإنسانية بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، الأستاذ الدكتور محمد فيصل، الماجستير.
٣. فضيلة رئيس قسم اللغة العربية وأدبها بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، الدكتور عبد الباسيط، الماجستير.

٤. فضيلة الدكتور محمد زواوي، الماجستير، بصفته المشرف في كتابة هذا البحث الجامعي الذي بذل قصارى جهده في توجيه الباحث، سواء من الناحية العلمية أو المنهجية، من بداية البحث حتى نهايته.

٥. جميع الأساتذة والأستاذات في قسم اللغة العربية وأدبها بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.

٦. زملائي وأصدقائي. وبشكل خاص إلى أحمد ممتاز، و محمد خزينة الأسرار، و أمين الدين يشكر. أنتم الأبطال الرئيسيون وشركاء المناقشة الرائعون. شكراً لكم على مرافقتي في عملية إعداد هذه الأطروحة والمقال، سواء في السكن الجامعي أو غرفة السكن المستأجرة أو خارجها. لقد خففت حضوركم من ثقل هذه الرحلة الشاقة. وكذلك إلى أصدقائي في *Nawaza* الذين لا يمكن ذكر أسمائهم واحداً واحداً، لكنهم لعبوا دوراً مهماً وأضفوا لمسة مميزة في عملية إعداد هذا البحث.

في الختام، يدعو الباحث الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً من أجله وحده، وأن يعود بالنفع على الباحث والقراء، وأن يكون خطوة مباركة في المسيرة العلمية في المستقبل.

مالانج، ١٣ مايو ٢٠٢٦م.

الباحث

إلهام مذكّر

رقم القيد : ٢٢٠٣٠١١١٠٠١٨

مستخلص البحث

مذكّر، إلهام (٢٠٢٦). دراسة أدب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول" لتوفيق حبيب بالمنظور ماري لويز برات. بحث جامعي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج. المشرف: الدكتور محمد زاواوي، الماجستير.

الكلمات الأساسية: أدب الرحلة، العين الإمبريالية، ماري لويز برات.

تستند هذه الدراسة إلى اتجاه أدب الرحلات الذي لا يقتصر على تسجيل الرحلة فحسب، بل يشكل أيضًا منظورًا تجاه المناطق والمجتمعات التي تتم زيارتها. يهدف هذا البحث إلى وصف ديناميكيات الإتصال الثقافي، واستراتيجيات مقاومة الغزو، وممارسات إنتاج المعرفة الاستعمارية في النص الرحلي(TRAVELOGUE) ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' للكاتب توفيق حبيب، باستخدام منظور ''عيون االإمبريالية'' لماري لويز برات. يستخدم هذا البحث نهجًا تفسيريًا نوعيًا، حيث يتمثل المصدر الرئيسي للبيانات في نص ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول''، والبيانات في شكل كلمات وعبارات وجمل وأجزاء من الخطاب تتعلق بتمثيل الرحلة، واللقاء الثقافي، ووجهة نظر الراوي تجاه تركيا. تم جمع البيانات من خلال تقنية القراءة والتدوين، ثم تم تحليلها بشكل وصفي-تحليلي من خلال التخفيض، والعرض، واستخلاص الاستنتاجات. أظهرت نتائج البحث أن الإتصال الثقافي في النص تتجلى من خلال اللقاءات الجسدية واللغوية والاجتماعية والسلطوية؛ بينما تظهر معارضة الغزو من خلال سرد الجهل والجماليات ومقارنة

المناطق والنقد ومحاولات إنتاج المعرفة؛ في حين تشكل ممارسات إنتاج المعرفة الاستعمارية صورة لتركيا كفضاء صامت ومحسوب وخاضع لنظرات المسافر. يخلص هذا البحث إلى أن آلية ''العيون الإمبريالية'' لا تعمل فقط في كتابات الرحلة الغربية، بل يمكن أيضًا أن تتبناها الكيانات غير الغربية في تمثيل الطرف الآخر. ولذلك، يُوصى بأن تبحث الدراسات اللاحقة في نصوص رحلات أخرى مع التركيز على التبادل الثقافي والأوتوإثنوغرافيا حتى تظهر أصوات الكيانات المحلية بشكل أوضح .

ABSTRACT

Mudzakkir, Ilham (٢٠٢٦). A Study of Travel Literature in Taufiq Habib's Rihlah Iksbris min al-Iskandariyah wa Istanbul ma'a al-Mister Atul: Mary Louise Pratt's Perspective. Undergraduate Thesis, Arabic Language and Literature Study Program, Faculty of Humanities, Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang. Advisor: Dr. Moh Zawawi, M.A.

Keywords: Travel Literature, Imperial Eyes, Mary Louise Pratt

This research is motivated by the tendency of travel writing to not only record a journey but also to shape perspectives toward the regions and societies visited. This study aims to describe the dynamics of the contact zone, anti-conquest strategies, and colonial knowledge production practices in the text *Rihlah Iksbris min al-Iskandariyah wa Istanbul ma'a al-Mister Atul* by Taufiq Habib, using Mary Louise Pratt's *Imperial Eyes* perspective. This research employs a qualitative-interpretative approach, with the text of *Rihlah Iksbris* as the primary data source. The data consists of words, phrases, sentences, and discourse segments related to the representation of travel, cultural encounters, and the narrator's perspective on Turkey. Data were collected through reading and note-taking techniques, then analyzed using a descriptive-analytical method involving reduction, presentation, and conclusion drawing. The results show that the contact zone in the text manifests through physical, linguistic, social, and authoritative encounters; anti-conquest appears through narratives of ignorance, aesthetics, regional comparison, criticism, and knowledge production efforts; while colonial knowledge production practices portray Turkey as a silent, measured space controlled by the traveler's gaze. This study concludes that the mechanism of imperial eyes does not only operate within Western travel writing but can also be adopted by non-Western subjects in representing "the other." Therefore, future research is suggested to examine other *rihlah* texts with a focus on transculturation and autoethnography so that the voices of local subjects can be more clearly observed.

ABSTRAK

Mudzakkir, Ilham (٢٠٢٦). Kajian Sastra Perjalanan dalam *Rihlah Iksbris min al-Iskandariyah wa Istanbul ma'a al-Mister Atul* karya Taufiq Habib Perspektif Mary Louise Pratt. Skripsi, Program Studi Bahasa dan Sastra Arab, Fakultas Humaniora, Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang. Pembimbing: Dr. Moh Zawawi, M.A.

Kata kunci: Sastra Perjalanan, Mata Imperial, Mary Louise Pratt

Penelitian ini dilatarbelakangi oleh kecenderungan travel writing untuk tidak hanya merekam perjalanan, tetapi juga membentuk cara pandang terhadap wilayah dan masyarakat yang dikunjungi. Penelitian ini bertujuan untuk mendeskripsikan dinamika *contact zone*, strategi *anti-conquest*, dan praktik produksi pengetahuan kolonial dalam teks *Rihlah Iksbris min Iskandariyah wa Istanbul ma'a Mister Atul* karya Taufiq Habib dengan menggunakan perspektif *Imperial Eyes* Mary Louise Pratt. Penelitian ini menggunakan pendekatan kualitatif interpretatif dengan sumber data utama berupa teks *Rihlah Iksbris* dan data berupa kata, frasa, kalimat, serta bagian wacana yang berkaitan dengan representasi perjalanan, perjumpaan budaya, dan cara pandang narator terhadap Turki. Data dikumpulkan melalui teknik baca dan catat, lalu dianalisis secara deskriptif-analitis melalui reduksi, penyajian, dan penarikan simpulan. Hasil penelitian menunjukkan bahwa *contact zone* dalam teks hadir melalui perjumpaan fisik, linguistik, sosial, dan otoritas; *anti-conquest* tampak melalui narasi ketidaktahuan, estetis, komparasi wilayah, kritik, dan upaya produksi pengetahuan; sedangkan praktik produksi pengetahuan kolonial membentuk citra Turki sebagai ruang yang diam, terukur, dan dikendalikan oleh tatapan pelancong. Penelitian ini menyimpulkan bahwa mekanisme *imperial eyes* tidak hanya bekerja dalam travel writing Barat, tetapi juga dapat diadopsi oleh subjek non-Barat dalam merepresentasikan pihak lain. Oleh karena itu, penelitian selanjutnya disarankan meneliti teks-teks *rihlah* lain dengan perhatian pada transkulturasi dan autoetnografi agar suara subjek lokal dapat terlihat lebih jelas.

محتويات البحث

تقرير الباحث ..... أ

تصريح ..... ب

تقرير لجنة المناقشة ..... ج

استهلال ..... د

إهداء ..... هـ

الشكر والتقدير ..... ز

مستخلص البحث ..... ط

مستخلص البحث (الإنجلزية) ..... ك

مستخلص البحث (الإندونيسية) ..... ل

محتويات البحث ..... م

الفصل الأول:مقدمة ١

أ. خلفية البحث ١

ب. أسئلة البحث ٨

ج. فوائد البحث ٩

د. حدود البحث ١٠

هـ. تحديد المصطلحات ١٠

الفصل الثاني:الإطار النظري ١٢

أ. تعريف أدب الرحلات وتطوره ١٢

ب. كتابة الرحلات والدراسات الأدبية ١٥

ج. كتابة الرحلات بالمنظور ماري لويز برات ١٧

١. الإتصال الثقافي (*Contact Zone*) ٢١

٢. التبادل الثقافي (*Transkulturasi*) ٢٢

٣. إدعاء الحياد (*Anti-Conquest*) ٢٤

٤. الرجل البصير(*Seeing-Man*) ٢٥

٥. إنتاج المعرفة الاستعمارية (*Colonial Knowledge Production*) ٢٦

د. نقد وجهة نظر ماري لويز برات في كتابة الرحلة ٢٨

الفصل الثالث: منهجية البحث ٣٠

أ. نوعية منهج البحث ٣٠

ب. البيانات ومصادرها ٣١

ج. تقنية جمع البيانات ٣٢

د. تقنية تحليل البيانات ٣٣

الفصل الرابع :عرض البيانات وتحليلها ٣٥

أ. التمثيل الإتصال الثقافي في النص الرحلي(TRAVELOGUE) رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول ٣٥

ب. الإستراتيجيات إدعاء الحياد في النص الرحلي(TRAVELOGUE) رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول..... ٥٢

ج. تشكيل إنتاج المعرفة الاستعمارية في رحلة إكسبر من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول ٦٥

الفصل الخامس:الخاتمة..... ٧٠

أ. الخلاصة..... ٧٠

ب. توصيات البحث ٧١

قائمة المصادر والمراجع..... ٧٢

سيرة ذاتية ٧٥

الفصل الأول

مقدمة

أ. خلفية البحث

تحظى الأبحاث في مجال أدب الرحلات أو الكتابة عن الرحلة التي تتناول النصوص العربية، باستخدام مفهوم «العين الإمبريالية» كأداة تحليلية، بجاذبية أكاديمية كبيرة. ويرجع ذلك إلى أن أبحاث أدب الرحلات، ولا سيما تلك التي تتناول النصوص العربية، تسعى إلى كشف علاقات القوة السائدة في سياق الرحلات بين تركيا ومصر. طوال هذه الفترة، كانت دراسات أدب الرحلة التي أجرتها ماري لويز برات حول "العين االإمبريالية" (*Imperial Eyes*) تُربط دائمًا تقريبًا بالموضوع الغربي باعتباره مركز القوة العالمي في ذلك الوقت الذي مارس الاستعمار. ولكن الأمر ليس كذلك، فالعيون االإمبريالية موجودة أيضًا لدى الكيانات غير الغربية عندما تستخدم الأدوات الثقافية السائدة لرؤية الأشخاص والمناطق والثقافات الأخرى وانتقادها (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧ و ٨؛ Pratt، ٢٠١٤) إن دراسة كيفية تصوير كاتب مصري لشيء ما خلال رحلة إلى تركيا من خلال عملفي النص الرحلي(TRAVELOGUE) رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول باستخدام أدوات سردية معينة، تقدم وجهة نظر جديدة حول كيفية إنتاج أمة غير أوروبية للمعرفة والسلطة على أمة أخرى من خلال الكتابة.

إن طرح هذا الموضوع كموضوع بحثي سيكون له تأثير على إعادة تشكيل فهم هيمنة الخطاب في أدب الرحلات العربي. يمكن أن يثبت هذا البحث أن آليات إنتاج المعرفة الاستعمارية قابلة للتطبيق ويمكن أن يتبناها أي موضوع يتمتع بسلطة سردية (Pratt، ٢٠٠٠). وبالتالي، سيكون لهذا البحث مساهمة مهمة في تطوير الدراسات الأدبية العربية، لا سيما في النظر إلى نصوص ال رحلة ليس فقط كملاحظات أو مذكرات يومية، بل

أيضاً كأدوات سياسية–ثقافية قادرة على تشكيل هرميات هوية خارج نطاق القوة والهيمنة الغربية.

تشرح ماري لويز برات في كتابها *Imperial Eyes* أن كتابات رحلات تحتوي على محتوى أو خطاب محدد. توضح برات أن كتابات رحلات لا يمكن أن تكون محايدة أبدًا لأنها في الأساس شكل من أشكال الخطاب الذي يلعب دورًا نشطًا في تشكيل المعرفة عن العالم من خلال الموقف المعرفي للكاتب (Pratt، ٢٠٠٨،ص. ١٢؛ Pratt، ٢٠٠٠). تصبح كتابات رحلات ساحة تُستخدم فيها اللغة لبناء وتقييم وتحديد معنى المناطق التي زارها المؤلف. وبالتالي، لم يعد التركيز الرئيسي في دراسة أدب رحلات على الحقيقة الواقعية للموقع، بل على كيفية إنتاج تمثيل اللغة للمعرفة وعلاقات القوة بين المؤلف وشيء آخر

''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' هو كتاب رحلات تم اختياره وتناوله كموضوع مادي في هذا البحث. ويُعد كتاب ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' للكاتب توفيق حبيب، سردًا لرحلة قام بها الصحفي المصري توفيق حبيب إلى تركيا في أوائل القرن العشرين (حبيب، ٢٠١٥). وبدلاً من أن تكون مجرد ملاحظات جغرافية، تُظهر هذه القصة سلطة توفيق حبيب في "تصوير" تركيا التي كانت تمر بمرحلة انتقالية من الحكم العثماني إلى شكل الدولة الجمهورية. من خلال أسلوب صحفي يبدو وصفياً وموضوعياً، يقوم حبيب في عمله رحلة إسكندرية وإستامبول مع المستر أتول بشكل متسق بالتصنيف والتقييم والمقارنة التي تضع تركيا ككائن للمراقبة. لا يركز سجل رحلة حبيب هذا على الديناميات الاجتماعية التركية من الناحية السوسيولوجية فحسب، بل على كيفية قيام حبيب، بصفته مسافرًا، ببناء سرد يحدد الهوية التي رآها أثناء وجوده في تركيا أو ما لاحظه خلال رحلته من خلال منظوره الفكري.

وتبين أن حبيب، بصفته مسافرًا يكتب أو يضع إطارًا للآخرين خلال رحلته إلى تركيا، له صلة وثيقة بما صاغته ماري لويز برات في كتابها «عيون االإمبريالية». يعكس النصفي النص الرحلي(TRAVELOGUE) رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول ظاهرة اللقاء الثقافي غير المتكافئ في الإتصال الثقافي. ويعد استخدام نظرية برات كأداة تحليلية أمراً مناسباً لتشريح كيف يمكن لكاتب غير غربي مثل حبيب أن يتبنى موقف "الرجل البصير" ويستخدم استراتيجية "إدعاء الحياد" في السرد الذي يضعه. إن التوافق بين طابع نص حبيب الذي يتسم بالسلطة ولكنه يبدو "غير خطير" ومفهوم إنتاج المعرفة الاستعمارية الذي طرحته برات يجعل هذه الدراسة جديرة بالاهتمام من أجل الكشف عن أبعاد السلطة الكامنة وراء السرد العربي للرحلات.

تم إجراء بحوث عن دراسات أدب الرحلات بالمنظور ماري لويز برات. هذه الخطوة حاسمة في تحديد الموقف الأكاديمي والجدة في الدراسة لتجنب التحيز وتكرار محتوى البحث. أجرت الدراسة الأولى إلك ميتينجر (٢٠٢١) بعنوان "الإتصال الثقافي أوروبية: البرتغال وبريطانيا في كتاب ماريان بايلي" لشبونة في الأعوام ١٨٢١ و١٨٢٢ و١٨٢٣". استخدمت هذه الدراسة منظور برات للتبادل الثقافي و الإتصال الثقافي لدراسة العلاقة بين بريطانيا والبرتغال كعلاقة بين المركز والأطراف. وينصب التركيز على تصور المؤلفة للثقافة البرتغالية من منظور الوطنية السائدة. وتظهر النتائج أن البرتغال تُعرف بأنها الإتصال الثقافي أوروبية تلتقي فيها ثقافات مختلفة في علاقة قوة غير متكافئة.

ثانياً، البحث الذي أجراه جيهوون بارك (٢٠٢٢) بعنوان "وضع كتاب ماري لويز برات *Imperial Eyes* في مكانه الصحيح في دراسات الإمبريالية". تهدف هذه الدراسة إلى وضع كتاب برات *Imperial Eyes* في تاريخ دراسات الإمبريالية وتوضيح ملامح تفكيرها بشأن الإمبريالية في القرن التاسع عشر. ينصب التركيز الرئيسي لهذه الدراسة على تقييم الفجوة المفاهيمية بين مصطلح *chŏpkyŏng* (الحدود) في الدراسات التاريخية الكورية ومفهوم

برات لالإتصال الثقافي. تظهر النتائج أهمية إجراء دراسة متعمقة لنظرية برات من أجل ابتكار وتوسيع دراسات الحدود من خلال منظور العلاقات غير المتكافئة بين القوى.

ثالثًا، دراسة جوليا هويديس (٢٠٢٢) بعنوان ''مراجعة هاملت: فيلم هايدر لباردواج كخريطة متقاطعة و الإتصال الثقافي''. تدرس هذه الدراسة الفيلم الهندي هايدر كشكل من أشكال التكيف عبر الثقافات الذي يجمع بين نص عالمي (هاملت) وسياق محلي (كشمير). باستخدام مفهوم برات لالإتصال الثقافي ، تحلل هويديس كيفية قيام الفيلم بمراجعة الأجندة السياسية والواقع الخفي من خلال التفاعلات بين الثقافات. تظهر النتائج أن الفيلم نجح في خلق مساحة ''تقاطع'' تحول قصة الانتقام إلى قصة مسامحة من خلال لقاء مكثف بين الهويات.

رابعاً، البحث الذي أجرته آنا براناش–كالاس (٢٠٢٢) بعنوان "*Uwikłani w opowieści: o kolonialnych spotkaniach, emigracji i wizji Afryki Wschodniej Desertion Adbulrazaka Gurnah*". تطبق هذه الدراسة نظريات برات إدعاء الحياد والتبادلية لتحليل تمثيلات اللقاءات الاستعمارية في شرق إفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر. وتركز على التناقض في الخطاب الاستعماري والصدمة الثقافية التي عاشها المهاجرون. وتظهر النتائج أن المؤلف يشكك في الانقسامات العرقية ويصور تعقيد التفاعلات المحلية التي تتجاوز الأخلاق الكوزموبوليتانية التقليدية.

ثم هناك الدراسة الخامسة التي أجراها *Wieczorkiewicz* (٢٠٢٢) بعنوان ''الإغواء الاستعماري في عصر جمهورية بولندا الشعبية. مساهمة في مشكلة كتابة رحلات''. تحلل هذه الدراسة استمرار الروايات الاستعمارية التقليدية في كتابة رحلات خلال عصر جمهورية بولندا الشعبية (PRL) باستخدام فئة العيون االإمبريالية لبرات. تركز الدراسة على كيفية ظهور هوية المسافرين البولنديين في الخارج في النظام الجيوسياسي العالمي. ووجدت نتائج الدراسة أنه على الرغم من تأثير الأيديولوجية في ذلك الوقت، لا تزال النصوص تحتفظ بعناصر الإغواء الاستعماري ومنظور غربي للمناطق التي تمت زيارتها (الهند).

أجريت الدراسة السادسة من قبل مالا شيخا ورانجيفا رانجان (٢٠٢٣) بعنوان ''تمثيل الهند في كتابات رحلات للنساء اللاتينيات في القرن العشرين''. تحلل هذه الدراسة تمثيل الهند في أعمال الكاتبات اللاتينيات في القرن العشرين باستخدام المنظورات النظرية لبل هوكس وماري لويز برات. وتركز الدراسة على كيفية وضع هؤلاء الكاتبات أنفسهن في الإتصال الثقافي من أجل تحرير هوياتهن من الماضي الاستعماري. وتكشف نتائج الدراسة أن هؤلاء الكاتبات لا يكتفين بتمثيل الهند فحسب، بل يقيمون حوارًا شاملاً يقرب بين التجارب اللاتينية الأمريكية والهندية من خلال منظور الذاتية الأنثوية.

الدراسة السابعة هي دراسة أجراها دافا بوترا براتاما (٢٠٢٥) بعنوان ''التاريخ البديل لعصر سينغوكو: الروايات الدينية لعشيرتي أوتومو وإيكو-إيكي في لعبة الفيديو *Total War: Shogun 2*''.تستخدم هذه الدراسة طريقة وصفية تحليلية من خلال الجمع بين نظرية سرد ألعاب الفيديو والهوية الاجتماعية ومفهوم ماري لويز برات لالإتصال الثقافي . تركز الدراسة على استكشاف كيفية تشكيل الأديان الأقلية للهوية الاجتماعية والروايات التاريخية البديلة في الفضاء الرقمي. تظهر نتائج الدراسة أن التفاعلات بين العشائر ذات الخلفيات الدينية المختلفة تخلق ديناميكيات معقدة لالإتصال الثقافي ، حيث يضطر اللاعبون إلى تبني استراتيجيات محددة للتعامل مع الرواية التاريخية السائدة.

ثامناً، دراسة أجرتها سيلين زايفل (٢٠٢٥) بعنوان "*Construire un 'je' dans l'altérité: analyse de récits de voyage coloniaux fictifs pour la jeunesse*". (بناء ''أنا'' في الآخرية: تحليل روايات سفر استعمارية خيالية للشباب). تحلل هذه الدراسة ٢٤ رواية سفر استعمارية خيالية في مجلة*L'Intrépide* باستخدام مفهوم برات لالإتصال الثقافي . وتركز الدراسة على فحص كيفية بناء شخصية ''أنا'' من خلال علاقتها مع الآخرين (*altéritas*). وتكشف نتائج الدراسة أن الراوي يظهر كشخصية مهيمنة تتفوق أخلاقياً وعقلانياً على السكان الأصليين، بحيث يعمل النص كأداة دعاية استعمارية تشكل صورة الأبطال الاستعماريين.

وأخيرًا، هناك دراسة أعدتها باولا دانييلا بيانكي (٢٠٢٥) بعنوان ''الإقليمية، الرؤى، والمواطنة الرحل في Vagos sin tierra لرينيه فيرير وLas Marías de los Toldos لأورورا فينتوريني''. تستخدم هذه الدراسة فئة ''مناطق الاستبعاد'' التي وضعها برات للتفكير في قضايا الأراضي وتشريد السكان في المناطق الحدودية. تركز الدراسة على كيفية تشكيل هذه الروايات للهويات البدوية في خضم إعادة الهيكلة االإمبريالية. تظهر النتائج أن هذه النصوص تتحدى الحدود الجيوسياسية التقليدية وتعيد مفهوم الأرض كمكان مشترك للإقامة من خلال الذاكرة السلفية التي تقاوم المنطق النيوليبرالي.

من نتائج مراجعة الدراسات التي استخدمت تحليل برات لكتابات رحلات، تم العثور على أوجه تشابه بين هذه الدراسة وتسع دراسات سابقة. ويكمن التشابه الواضح في استخدام نظرية ''العيون االإمبريالية'' لماري لويز برات كإطار تحليلي رئيسي في تحليل مساحات اللقاء الثقافي غير المتكافئة أو الإتصال الثقافي . تم العثور على أوجه تشابه في استخدام هذا المفهوم في جميع الدراسات التي تمت مراجعتها. بالإضافة إلى ذلك، هناك أوجه تشابه في استخدام الأشياء المادية في شكل أعمال أدبية مثل الروايات ورويات الرحلات (Mettinger، ٢٠٢١؛ Shikha & Ranjan، ٢٠٢٢؛ Zaepffel، ٢٠٢٥؛ Branach-Kallas، ٢٠٢٢؛ Wieczorkiewicz، ٢٠٢٢)، وكذلك استخدام استراتيجيات إدعاء الحياد في تفكيك الهيمنة الرمزية (Branach-Kallas، ٢٠٢٢؛ Zaepffel، ٢٠٢٥).

ومع ذلك، هناك أيضًا اختلافات بين هذه الدراسة والدراسات السابقة التي تم استعراضها. وتكمن هذه الاختلافات في المادة موضوع الدراسة وموقع الموضوع الذي يتم دراسته. ففي حين ركزت الدراسات السابقة على موضوعات أوروبية (Mettinger، ٢٠٢١؛ Zaepffel، ٢٠٢٥) وأمريكا اللاتينية (Shikha & Ranjan، ٢٠٢٣؛Bianchi، ٢٠٢٥) وبولندا (Wieczorkiewicz، ٢٠٢٢)، أو التمثيل الرقمي والسينمائي (Pratama، ٢٠٢٥؛ Hoydis، ٢٠٢٢)، فإن هذا البحث يدرس على وجه التحديد سرد الرحلة الذي

كتبه شخص غير غربي من الجنسية المصرية، وهو توفيق حبيب. بالإضافة إلى ذلك، تم العثور على اختلاف جوهري في استخدام اللغة العربية كوسيلة رئيسية لتصوير الأراضي التركية، حيث لم يتم العثور على منظور الذاتية العربية هذا في الأبحاث السابقة التي تميل إلى تقييم تاريخ الحدود الكورية (Park، ٢٠٢٢) أو الاستعمار في أفريقيا (Branach-Kallas، ٢٠٢٢). يقدم هذا التركيز حداثة من خلال إظهار كيفية تبني المثقفين العرب لأدوات الخطاب السائدة لإنتاج المعرفة عن مناطق أخرى.

بناءً على استعراض مختلف الأبحاث السابقة، وبالنظر إلى أوجه التشابه والاختلاف بين هذا البحث والدراسات السابقة، فإن هذا البحث يهدف إلى توسيع آفاق تطبيق نظرية "العيون الإمبريالية" خارج نطاق الموضوعات الغربية. إذا كانت غالبية الأبحاث السابقة تضع برات في سياق الاستعمار الأوروبي أو تمثيل وسائل الإعلام العالمية، فإن هذا البحث يتخذ موقفًا فريدًا بوضع المثقفين العرب كموضوع رئيسي يتمتع بسلطة سردية في إنتاج المعرفة عن الطرف الآخر. وبالتالي، فإن هذا البحث لا يقتصر على مجرد تكرار استخدام نظرية برات، بل يضع نص ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' كدليل ملموس على أن آلية "العين الإمبريالية" تعمل عبر الثقافات ويمكن أن تتبناها كيانات أخرى في النظر إلى الطرف الآخر، وفي هذه الحالة هو الكيان المصري تجاه تركيا.

لذلك، تنطلق هذه الدراسة من افتراض أن تمثيل الطرف الآخر في نص رحلة توفيق حبيب هو نتيجة بناء ذاتي غير محايد. من خلال تحديد شكل الإتصال الثقافي واستراتيجية مكافحة الغزو، يمكن تفسير آلية نظرة حبيب للطرف الآخر للكشف عن الدوافع الكامنة وراء التصنيفات والتقييمات المحددة التي قدمها حبيب. بالإضافة إلى ذلك، يتيح هذا النهج

تقييم كيفية معالجة تجربة الرحلة نصياً من أجل تأطير هوية الطرف الآخر ضمن مخطط المعرفة الاستعمارية على غرار برات. ومن المأمول أن يوفر الكشف عن ممارسات إنتاج المعرفة الاستعمارية (Colonial Knowledge Production) فهماً عميقاً لكيفية بناء الطرف الآخر في سردفي النص الرحلي(TRAVELOGUE) رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول، باعتباره انعكاساً للسلطة ووجهة نظر الذاتية العربية تجاه العالم الخارجي في أوائل القرن العشرين.

ب.أسئلة البحث

بناءً على الخلفية المذكورة أعلاه، فإن أسئلة البحث في هذه الدراسة هي كما يلي:

١. كيف يتم تمثيل الإتصال الثقافي في النص الرحلي(TRAVELOGUE) ''رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' لتوفيق حبيب وفقًا لنظرية ماري لويز برات حول كتابة الرحلات؟
٢. ما هي استراتيجيات إدعاء الحياد التي تظهر في النص الرحلي(TRAVELOGUE) ''رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول''؟
٣. كيف يتشكل إنتاج المعرفة الاستعمارية في في النص الرحلي(TRAVELOGUE) ''رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول''؟

ج. فوائد البحث

هذه الدراسة لها فائدتان، هما كما يلي:

١. الفائدة النظرية

من الناحية النظرية، تقدم هذه الدراسة فائدة تتمثل في توسيع نطاق دراسة أدب الرحلات، لا سيما في فهم كيفية بناء «الآخر» ليصبح معرفة أحادية من قبل الكاتب استناداً إلى نظرية ماري لويز برات. كما تبرز في هذه الدراسة ميزة تتمثل في قدرة الكاتب غير الغربي على الكشف عن كيفية تبني الأدوات السردية السائدة لبناء سلطة على مناطق أخرى. وبذلك، يمكن أن تصبح هذه الدراسة أساسًا نظريًا وإلهامًا لكتاب آخرين لتقليد نجاح توفيق حبيب في صياغة وبناء خطاب المعرفة الاستعمارية، وجعل أدب الرحلات وسيلة قوية للنقد الاجتماعي.

٢. الفائدة التطبيقية

من الناحية التطبيقية، فإن هذه الدراسة مفيدة لأنها تمكن القراء من فهم ديناميات القوة الكامنة وراء سرد رحلات. من خلال تحليل استراتيجية إدعاء الحياد التي استخدمها توفيق حبيب، يتم تشجيع القراء على أن يكونوا أكثر انتقادًا وتمييزًا في استيعاب المعلومات أو ادعاءات الموضوعية في أي نص مكتوب. يمكن للقراء أن يتعلموا أن الوصف الذي يبدو ''غير ضار'' غالبًا ما يخفي دوافع ووجهات نظر ذاتية معينة تشكل صورة الأمة. لذلك، من المتوقع أن تشكل هذه الدراسة وعي القراء النقدي حتى لا يتسرعوا في قبول التمثيل الثقافي كحقيقة مطلقة دون النظر إلى موقع السلطة الذي يحتله المؤلف.

د. حدود البحث

يقتصر هذا البحث نظريًا على استخدام مفاهيم معينة من نظرية العيون االإمبريالية لماري لويز برات. وقد استُخدمت هذه النظرية بالتركيز حصريًّا على مفهوم الإتصال الثقافي لتحليل فضاء اللقاء الثقافي غير المتكافئ، ومفهوم إدعاء الحياد لكشف استراتيجيات التمثيل التي يتبعها الكاتب في بناء صورة البراءة في سرده. يتم تطبيق هذين المفهومين كأدوات رئيسية لشرح كيفية تشكل المعرفة الاستعمارية كنتيجة نهائية للتفاعل واستراتيجيات الكتابة التي اتبعها توفيق حبيب في عمله. تم اختيار هذه الحدود حتى يظل تركيز التحليل على آليات إنتاج المعرفة وعلاقات القوة التي تعمل داخل النص، وليس على الجوانب اللغوية البحتة، أو الجماليات الأدبية بشكل عام، أو المفاهيم الأخرى في فكر برات مثل الأثنوغرافيا الذاتية أو التبادل الثقافي في أبعاد أوسع. من خلال هذه الحدود النظرية، يُتوقع أن تقدم الدراسة نتائج دقيقة ومتعمقة حول موقف الذاتية لدى الكاتب العربي في النظر إلى الطرف الآخر.

هـ. تحديد المصطلحات

١. كتابة الرحلات (وفقًا لبرات) هي كتابة لا تقتصر على سرد تجارب الرحلة فحسب، بل تتضمن أيضًا وجهة نظر الكاتب تجاه المناطق والمجتمعات التي يزورها .

٢. ''العيون االإمبريالية''(*Imperial Eyes*) (وهو أيضًا عنوان كتاب برات) هي وجهة نظر تضع الكاتب في موقع المراقب الذي يمتلك سلطة رؤية وتقييم وتعريف المنطقة أو أي شيء يصادفه .

٣. الإتصال الثقافي (*Contact Zone*) هي مساحة التقاء بين مختلف المجموعات الثقافية، حيث يحدث التفاعل والتفاوض وتبادل المعاني في ظروف لا تكون دائماً متكافئة .

٤. التبادل الثقافي (*Transkulturasi*) هو عملية يقوم فيها الطرف الأضعف بأخذ العناصر الثقافية السائدة وتكييفها وإعطائها معنى جديداً للتعبير عن تجربته الخاصة.

٥. ادعاء الحياد (*Anti-Conquest*) هي استراتيجية كتابة يقدم فيها الكاتب نفسه كمراقب محايد وغير مهيمن، لكنه يحتفظ بالسيطرة في وصف وتقييم الطرف الآخر .

٦. الرجل البصير (*Seeing-Man*) هو شخصية الكاتب باعتباره موضوعًا ينظر إلى العالم من موقعه الخاص ويجعل رؤيته الأساس الرئيسي في بناء السرد .

٧. المعرفة الاستعمارية (*Colonial Knowledge*) هي شكل من أشكال المعرفة الناتجة عن عملية الملاحظة والكتابة التي تميل إلى تنظيم وتصنيف ووضع الطرف الآخر في مكانة أدنى.

الفصل الثاني

الإطار النظري

أ. تعريف أدب الرحلات وتطوره

تعد أدب الرحلات أو كتابة الرحلات نوعًا أدبيًا متعدد الأبعاد لأنه يتجاوز حدود تخصص علمي واحد. فأدب الرحلات ليس مجرد بحث تاريخي بحت أو وصف جغرافي محض، كما أنه ليس مجرد قصة قصيرة أو رواية أو قصيدة، بل هو مزيج من كل هذه العناصر(خليل، ٢٠٠٥، ص. ٦) . يجد كاتب الرحلات نفسه في موقف يتطلب دقة المؤرخ في تسجيل الأحداث وحساسية الأدبي في نقل التجربة. يؤكد خليل أن أدب الرحلات، في بدايته ونهايته، هو محاولة لاكتشاف الأسرار الكامنة وراء الأشياء وكشف المعاني الكامنة وراء الظواهر الظاهرة (خليل، ٢٠٠٥، ص. ٨).

وتماشياً مع ذلك، يعرّف حسين محمد فهيم، مستشهداً بصلاح الشامي، الرحلة بأنه «عين الجغرافيا المبصرة» (الرحلة عين الجغرافيا المبصرة) (فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٨). يؤكد هذا التعريف أن أدب الرحلات لا يقتصر دوره على كونه سجلاً للتنقل بين الأماكن، بل هو أيضاً وسيلة لرؤية وفهم الاختلافات بين الثقافات وتجسير الفجوات بينها. ولذلك، غالباً ما تكون كتابات الرحلات غنية بالعناصر الجمالية، واختيار الألفاظ الجميلة، وأسلوب السرد القوي، بحيث يمكن اعتبارها أعمالاً أدبية حتى وإن لم تتبع دائماً شكل الرواية بشكل صارم. بعبارة أخرى، الكتابة عن الرحلة هي شكل من أشكال الكتابة يقع بين سجل التجارب والملاحظات الثقافية والتعبير الفني.

كما أن تطور الكتابة عن الرحلة يسير جنبًا إلى جنب مع التغيرات في تاريخ الحضارة ودوافع الإنسان. في البداية، غالبًا ما كانت سجلات الرحلة تعمل على سد الفجوات في الأدب التاريخي الرسمي. يلاحظ أبو الحسن علي الندوي أن التراث العربي غني جدًا بكتب الرحلات، مثل أعمال ابن جبير وابن بطوطة، التي نجحت في الحفاظ على صورة حقيقية للمجتمعات والشخصيات التي غالبًا ما تتجاهلها التاريخ التقليدي (الندوي, ١٩٩٧ ص. ٦٣). ومع ذلك، انتقد الندوي أيضًا أن بعض كتابات الرحلات الحديثة فقدت عمقها العاطفي والروحي، وتحولت إلى مجرد أداة تسجيل تقدم وصفًا دون صدى داخلي أو موقف أيديولوجي من كاتبها (الندوي، ١٩٩٧، ص. ٦٤—٦٥) .

على نطاق أوسع، تأثر تغير طابع كتابات الرحلات أيضًا بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العالمية. يوضح أنتوني جيدنز أن عصر استكشاف العالم الذي تميز برحلات كولومبوس قد غيّر طريقة فهم الإنسان للعالم، وقلب في الوقت نفسه نظام الإنتاج والثروة والسلطة (جيدنز، ١٩٧١، ص. ١٢). أدى التوسع الأوروبي لاحقًا إلى أن تصبح الرحلات ليست مجرد اكتشافات أو تبادل تجاري فحسب، بل أيضًا جزءًا من الإمبريالية والرأسمالية. ومن هنا، بدأ يُنظر إلى أدب الرحلات ليس كنص محايد، بل كوسيلة تساهم في تشكيل نظرة االإمبريالية إلى العالم الخارجي. في الدراسات الأدبية الحديثة، يظهر أن الدراسات ما بعد الاستعمارية تهدف إلى استجواب العلاقة بين الغرب والمناطق الأخرى، لا سيما من خلال تاريخ التوسع والهيمنة العسكرية والاقتصادي (Bertens، ٢٠٠١، ص. ١١١). ولذلك، أصبحت كتابات الرحلة تُقرأ كنصوص تحتوي على علاقات القوة، وليست مجرد مذكرات سفر عادية.

يصل الفهم النقدي لكتابات الرحلة إلى أقوى صياغة نظرية في فكر ماري لويز برات. ترفض برات النظرة التقليدية التي تعتبر مذكرات الرحلة مجرد ملاحظات بحتة (Pratt،

٢٠٠٨، ص. ٣). بالنسبة لها، الكتابة عن الرحلة هي ممارسة تمثيلية تنتج معاني حيث يساهم نص الرحلة في خلق نظام إمبراطوري للقراء الأوروبيين في بلدهم الأم ويجعل التوسع الإمبريالي يبدو طبيعياً وذا معنى، بل ومطلوباً. من خلال نص الرحلة، يُعطى القارئ الأوروبي انطباعاً بأنه يتمتع بالقرب والمعرفة وحتى الشعور بالملكية تجاه المناطق البعيدة التي يتم استكشافها أو استعمارها.

لفهم كيفية عمل هذا التمثيل، طور برات بعض المفاهيم الرئيسية. أولاً، الإتصال الثقافي هي مساحة لقاء إمبراطورية حيث تتلامس الكيانات التي كانت منفصلة جغرافياً وتاريخياً في السابق وتبني علاقات، غالباً ما تتسم بالإكراه والتفاوت والصراع (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٨). هذا المفهوم مهم لأنه يحول الانتباه من مركز االإمبريالية إلى الأماكن الملموسة التي تجري فيها تلك اللقاءات، مما يجعل التحليل أكثر لامركزية ولا يركز فقط على أوروبا (Pratt، ٢٠٢٢، ص. ١٢٦). ثانياً، ''إدعاء الحياد'' هي استراتيجية تمثيلية عندما يقدم الفرد البرجوازي الأوروبي نفسه على أنه شخصية محايدة، غير مهيمنة، وكأنه مجرد مراقب عادي، في حين أنه في الوقت نفسه يظل يؤكد هيمنة أوروبا (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩) من خلال لغة العلم أو المشاعر التي تبدو موضوعية، يبني كاتب الرحلات صورة البراءة بينما يخفي علاقات القوة وراء السرد الذي يبدو طبيعياً. ثالثًا، يُظهر التبادل الثقافي والأوتوإثنوغرافيا أن العلاقات الثقافية في مناطق التلامس لا تسير في اتجاه واحد. يمكن للمجموعات الخاضعة أن تنتقي عناصر من الثقافة المهيمنة وتكيّفها وتعيد صياغتها للتعبير عن تجاربها الخاصة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧). من هذه العملية ولدت تعبيرات الأوتوإثنوغرافيا، أي عندما يمثل الشخص المستعمر نفسه من خلال الاستجابة أو الحوار أو الاستيلاء على لغة ومصطلحات المستعمر (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩).

وبالتالي، لم تعد كتابات الرحلة تُفهم فقط على أنها ملاحظات عن الرحلة أو وصف للمناظر، بل كوسيلة خطابية معقدة. فيه، تلتقي تجارب التنقل والملاحظة والكتابة

معًا لإعادة إنتاج العلاقات الإمبريالية القوية أو التفاوض بشأنها أو حتى تحديها. ولذلك، يُفهم الكتابة عن الرحلة في هذا البحث على أنها نص سفر لا يقتصر على تسجيل الأماكن والأحداث فحسب، بل يشكل أيضًا وجهة نظر المعني ومعرفته وموقفه تجاه العالم الذي يزوره.

ب. كتابة الرحلات والدراسات الأدبية

يُعرّف الكتابة الرحلات عمومًا بأنها نوع أدبي هجين يحتل مكانة فريدة بين الوثائق الواقعية والروايات الجمالية. ويعني النوع الأدبي الهجين أن الكتابة عن رحلات لا تقتصر على تسجيل التجارب الفردية فحسب، بل هي أيضًا وسيلة للتعبير تجمع بين الملاحظة الموضوعية وتأملات المؤلف الشخصية. باعتبارها نوعًا متعدد التخصصات، تعتمد أدب رحلات على اللغة لتوصيل التجارب التجريبية في نص منظم (Thompson، ٢٠١١،ص. ٩-١١) . وهذا يجعل كتابة رحلات مجالًا ديناميكيًا، حيث إنها تربط بين تخصصات التاريخ والجغرافيا والأدب في إطار سردي واحد.

في مجال الدراسات الأدبية، لا ينصب التركيز الرئيسي للبحوث المتعلقة بأدب الرحلات على الدقة الواقعية للمواقع التي تمت زيارتها، بل على دقة التمثيل. لا ينظر أدب الرحلات إلى الأماكن على أنها كائنات جغرافية ثابتة، بل كمساحات تم بناؤها من خلال منظور المؤلف واختياره للأسلوب. يحدث التحول من التقرير الوصفي إلى النص الأدبي عندما يبدأ المؤلف في إضفاء الطابع الذاتي على الواقع، حيث يصبح كل وصف لـ (شيء آخر) نتيجة لتفسير معين (Youngs، ٢٠١١،ص. ٤-٧) .عندئذ، تصبح نصوص رحلات سردًا مبنيًا يحتوي على منظور المؤلف للعالم الخارجي أو الآخر من خلال وسيلة جمالية هي اللغة.

تم الاعتراف بالأدب الرحلات كنوع أدبي في التقاليد الأكاديمية الغربية منذ القرن الثامن عشر. ينظر علماء الأدب في أوروبا إلى نصوص الرحلات على أنها جزء متساوٍ من الخطاب الأدبي بسبب قدرتها على بناء الاستعارات والهويات وعلاقات القوة من خلال بنية الحبكة (Adams، ١٩٨٣،ص. ١٤-١٦). في الغرب نفسه، لم تعد نصوص رحلات تُعتبر مجرد وثائق داعمة لعلوم الأرض، بل مجالًا تعمل فيه الخيال واللغة على خلق صور ثقافية معينة. يوفر هذا الاعتراف شرعية نظرية بأن رحلات رحلات لها صفات فنية وأيديولوجية تضاهي الأنواع الأدبية التقليدية الأخرى.

في سياق العالم الشرقي، تشكل تقاليد الرحل العربية جذراً تاريخياً قوياً لتطور روايات رحلات. فالرحلات ليست مجرد سجل للرحلات الدينية أو البعثات الدبلوماسية، بل هي شكل من أشكال الفن الأدبي (فان أدبي) معترف به منذ زمن طويل في تاريخ النثر العربي الكلاسيكي. منذ عهد ابن بطوطة، أظهرت الرحلة ثراءً في الأساليب والبنى السردية المعقدة، مما يميزها عن سجلات رحلات الإدارية العادية (Netton، ١٩٩٣،ص. ٢-٥). وقد أكد هذا التقليد أن المثقفين العرب، منذ العصور القديمة، كانوا ينظرون إلى تقارير رحلات على أنها جزء من كنز أدبي ذي قيمة جمالية عالية.

مع دخول العصر الحديث، شهدت أدب الرحلات تحولاً كبيراً فتح المجال أمام المزيد من الذاتية والسرد. تأثر هذا التحول باللقاءات الثقافية مع الغرب، التي أدت إلى ظهور تقنيات كتابة أكثر شخصية ونقدية وتأملية. لم تعد أدب الرحلات الحديث يعامل رحلات على أنه نشاط بدني بحت، بل كعملية فكرية يقوم فيها المسافر بدور الباحث الثقافي، ويسجل التفاعلات بينه وبين بيئته الجديدة (فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧-٢١). وقد سمح هذا التحول لنصوص رحلات بأن تصبح وسيلة للكتاب للتعبير عن أفكارهم الاجتماعية والسياسية والثقافية بشكل سردي من خلال منظور ذاتي.

احتل توفيق حبيب مكانة مهمة في المرحلة الانتقالية من تقاليد الرحلات الكلاسيكية إلى أدب رحلات الحديث في أوائل القرن العشرين. من خلال نصه ''رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول''، لم يكتف حبيب بتوثيق مسار رحلته فحسب، بل بنى سردًا عن الحداثة والهوية في خضم انتقال السلطة في إستامبول. أضفى موقع حبيب كصحفي ومسافر بعدًا جديدًا على تقليد الرحلة، حيث تتقاطع تقنيات التقرير الصحفي مع أسلوب سرد قصصي عاطفي وذاتي. يظهر تركيز حبيب على تفاصيل التفاعلات البشرية وأجواء المدينة وعيًا سرديًا يتجاوز مجرد الحقائق الجغرافية.

من التفسير أعلاه، يمكن الاستنتاج بشكل قاطع أن كتاب ''رحلة إكسبرس'' لتوفيق حبيب أو النصوص المماثلة، كما هو موضح أعلاه، تستحق الدراسة كأعمال أدبية. عدم وجود تصنيف للرواية أو الخيال في هذا النص لا ينفي مكانته كعمل أدبي بسبب نجاح المؤلف في تقديم تجارب سفره من خلال بناء لغوي ذاتي وتفسيري. تندرج هذه الدراسة في مجال الدراسات الأدبية لأن محور التحليل موجه نحو تفكيك الخطاب واستراتيجيات التمثيل وعلاقات القوة الواردة في النص. وبالتالي، فإن النهج الأدبي هو الأداة التحليلية الأنسب للكشف عن عمق المعنى والأيديولوجية الواردة في سرد رحلة توفيق حبيب.

ج. كتابة الرحلات بالمنظور ماري لويز برات

كتابة الرحلات هي شكل من أشكال الخطاب لا يمكن فصله عن تاريخ التوسع الأوروبي. في السابق، كانت كتابة الرحلات تعتبر مجرد كتابة سردية عادية من قبل الأشخاص الذين سافروا إلى مناطق غير أوروبية، ولكن في منتصف القرن الثامن عشر، شهدت كتابة الرحلات تغييرات كبيرة. وقد تميز هذا التغيير بعمليتين رئيسيتين حدثتا في وقت واحد، وهما ظهور التاريخ الطبيعي (*Natural History*) والتحول في أنماط الاستكشاف من المناطق البحرية إلى المناطق الداخلية في شمال أوروبا (Pratt، ٢٠٠٨،

ص. ١١) . ظهر التاريخ الطبيعي عندما بدأ دراسة العالم الطبيعي ككائن يمكن ملاحظته وتسجيله وتصنيفه بشكل منهجي، مما شكل بنية معرفية جديدة وطريقة جديدة للنظر إلى العالم. وفي الوقت نفسه، ساهم التحول في الاستكشاف من المناطق البحرية إلى المناطق الداخلية في تشكيل ''الوعي الكوكبي''، وهو طريقة جديدة للنظر إلى العالم ككيان عالمي يمكن معرفته ورسم خرائط له وتصنيفه (Pratt، ٢٠٢٢).

لم تحدث التغييرات والتحولات في ممارسات كتابة رحلات بشكل منفصل، بل كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حدثت في أوروبا خلال نفس الفترة. وقد شجع تعزيز مصالح البرجوازية في الموارد واكتساب رأس المال، إلى جانب تطور النظام الاقتصادي الرأسمالي، على توسيع الأراضي إلى مناطق جديدة من خلال البحث عن المواد الخام وفتح طرق تجارية خارج أوروبا (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ١١). في هذا السياق، انتشرت الأنشطة التجارية، التي كانت تركز في السابق في المناطق الساحلية، تدريجياً إلى المناطق الداخلية بسبب اهتمام الدول الأوروبية بالسيطرة على الأراضي الخارجية حتى لا تقع في أيدي قوى أوروبية أخرى. من هذا الوضع، يجادل برات بأن كتابة الرحلات اكتسبت أهمية جديدة، ولم تعد مجرد ملاحظات سفر فردية، بل أصبحت شكلاً من أشكال المعرفة التي لعبت دورًا في دعم مشاريع التوسع الأوروبية وإضفاء الشرعية عليها (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ١١).

تعد البعثات العلمية في القرن الثامن عشر أمثلة ملموسة على الصلة بين إنتاج المعرفة ومشاريع التوسع الأوروبية. يبرز برات رحلة شارل دي لا كوندامين إلى أمريكا الجنوبية، التي قُدمت على أنها مشروع علمي، ولكنها جرت في سياق استعماري محفوف بمصالح قوى مختلفة، نظراً لأن المستعمرات الإسبانية كانت مغلقة أمام الاختراق الأجنبي. وبالتالي، بالنسبة لأولئك الذين تمكنوا من الوصول إلى المستعمرات الإسبانية، كان ذلك أيضاً نجاحاً في المفاوضات السياسية (Pratt، ٢٠٠٨،ص. ١٦). ويمكن ملاحظة نمط

مماثل في تاريخ الاستعمار في كيب تاون، حيث كانت البعثات الاستكشافية إلى المناطق الداخلية مصحوبة بالتجارة والعبودية والصراع مع السكان الأصليين والاستيلاء على الأراضي والموارد (Pratt، ٢٠٠٨،ص. ٤٠) .

من خلال هذه الأمثلة، يؤكد برات أن البعثات العلمية الأوروبية لم تجرِ أبدًا في ظروف محايدة وعقلانية تمامًا، كما يُصوَّر غالبًا في الروايات الإمبريالية (Pratt، ٢٠٠٨،ص. ١٦-١٧). كانت البعثات التي زُعم أنها مشاريع علمية في الواقع محفوفة بالصراعات الداخلية والشكوك والممارسات العنيفة والتورط المباشر مع هياكل السلطة الاستعمارية المحلية. وبالتالي، في هذا السياق، لم تعد العلوم ممارسة عالمية خالية من القيم، بل أصبحت مرتبطة بالمصالح السياسية والقومية وعلاقات الهيمنة. من خلال الكشف عن هذه الفوضى والتوتر في تقاليد كتابة الرحلات، يهدم برات صورة رحلات الأوروبي باعتباره مهمة نبيلة للتنوير ويظهر أن الاستكشاف يحدث دائمًا في فضاء اجتماعي غير متكافئ ومليء بالصراعات (Pratt، ٢٠٠٨،ص. ١٧).

دفعت انتقادات البعثات العلمية المتشابكة مع السلطة برات إلى اتخاذ موقف نظري مختلف في قراءة وتحليل كتابات رحلات الأوروبية. اتخذ برات موقفًا مختلفًا عن المقاربات السابقة، التي كانت تميل إلى الاحتفاء بقصص المغامرين غريبي الأطوار أو العلماء الأوروبيين باعتبارهم شخصيات بطولية، أو التعامل مع تقارير رحلات على أنها مجرد مصادر وصفية للمعلومات عن مكان ما وشعبه. كما لم يتبع برات التقليد الحداثي المتمثل في دراسة كتابات رحلات من منظور جمالي أو فكري فقط، لا سيما فيما يتعلق بالمعضلات الوجودية الأوروبية. بدلاً من ذلك، يتخذ برات نهجًا نقديًا من خلال دراسة كيفية تصوير كتابات رحلات الأوروبية للعالم والمجتمعات التي تزورها، وتحديد أنماط معينة من الكتابة، وتقديم طريقة للقراءة تنظر في كيفية تشكيل السرد في كتابات رحلات للمعرفة عن عوالم ومجتمعات أخرى (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ١٢).

طريقة التفكير، وطريقة تصور العالم، وطريقة إنتاج المعرفة، التي تم بعد ذلك صبها في كتابات الرحلة، تم تقييمها لاحقًا من قبل برات كجزء من الإمبريالية. كتب برات كتاب ''عيون االإمبريالية'' لشرح كيف أن الإمبريالية لم تعد تعمل من خلال الاستعمار المباشر، بل من خلال شكل من أشكال الإمبريالية التي تعيش وتتكيف من خلال منظور البلدان التي تعتبر 'متخلفة' كمساحات إنتاج رخيصة، أو مناطق لاستغلال الموارد، أو أهداف للتدخل بدوافع "التحرير" (Pratt، ٢٠٠٨،ص. xii-xiv؛ Pratt، ٢٠٢٢). ومن هذا المنطلق، تم التأكيد بشكل أكبر على وجهة نظر برات بشأن الأنماط القديمة للإمبريالية التي تستمر في التكرار بلغة وشرعية جديدة، بحيث يجب إضعاف هذا النوع من الرؤية لكي نرى كيف يمكن فهم كتابات رحلات ليس فقط من خلال ما هو مكتوب، ولكن أيضًا من خلال كيفية بناء الحقيقة ووصفها وتشكيل المعرفة الاستعمارية.

من التفسير أعلاه، يمكن فهم الكتابة عن رحلات من وجهة نظر برات على أنها ممارسة كتابية تشكل الطريقة التي يُنظر بها إلى المناطق الأخرى ويتم وضعها في علاقات القوة العالمية. لا تسجل كتابات رحلات ما يتم مواجهته فحسب، بل تحدد أيضًا معنى وموقع وقيمة المنطقة وسكانها. لذلك، تعمل كتابات رحلات كجزء من إنتاج المعرفة الاستعمارية، على الرغم من أنها غالبًا ما تظهر على أنها روايات علمية أو وصفية أو حتى غير ضارة. ثم يقترح برات مفهوم الإتصال الثقافي لشرح الفضاء غير المتكافئ للقاء بين المجموعات الأوروبية وغير الأوروبية (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧) ، بالإضافة إلى مفهوم إدعاء الحياد لإظهار كيف يتم إخفاء الهيمنة الإمبريالية في كثير من الأحيان من خلال اللغة والمواقف ورواية القصص (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩). لذلك، من المهم فهم كيفية عمل سلطة المؤلف في كتابات رحلات في تشكيل المعرفة الاستعمارية أو منظور المسافر حول المنطقة التي زارها.

١. الإتصال الثقافي (*Contact Zone*)

في كتابها المعنون «عيون االإمبريالية»، استخدمت ماري لويز برات مصطلح الإتصال الثقافي لتوضيح الفضاء الاجتماعي الذي تلتقي فيه مجموعات بشرية من خلفيات ثقافية وتاريخية مختلفة. لا تجري هذه اللقاءات بشكل محايد، لأنها تشكلت منذ البداية بعلاقات قوة غير متكافئة، سواء نتيجة الاستعمار أو العبودية، أو الآثار المستمرة لكليهما التي لا تزال سارية حتى اليوم (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧–٨). وتماشياً مع ذلك، يؤكد حسين محمد فهيم أن الرحلة في جوهره ليس مجرد انتقال مادي، بل هو مواجهة حضارية تنطوي على تلامس بين الذات والآخر (فهيم، ١٩٨٩، ص.١٧). ومن أمثلة تأثيرات الاستعمار والعبودية التي يشير إليها برات، على سبيل المثال، النظرة أو المنظور الذي يعتبر أن المناطق الأخرى متخلفة، وتحتاج إلى التوجيه أو المساعدة. وبالتالي، فإن أشكال الاستعمار لم تعد تتمثل في الاستعمار المادي، بل في المنظور. وبعبارة أخرى، هناك عدم توازن في فضاء اللقاء يجعل التلامس بين الثقافات دائمًا مشحونًا بتجاذب المصالح.

يمكن ملاحظة هذا التجاذب عندما لا يكتفي المسافر أو الكاتب (في حالة كتابات الرحلات) بمراقبة المنطقة التي يزورها، بل يقوم أيضًا بتقييمها ومقارنتها بمناطق أخرى. يُطلق برات على ''الإتصال الثقافي'' اسم ''مساحة اللقاء الإمبراطوري''، وهي المساحة التي تتواجد فيها المجموعات التي كانت في السابق منفصلة بسبب المسافة الجغرافية والتاريخية، معًا الآن في علاقة مستمرة، مما يؤدي إلى ظهور التوتر (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٨). لا تظهر هذه التوترات دائمًا في شكل عنف جسدي، بل غالبًا ما تعمل من خلال اللغة وطريقة الوصف ومحاولات تعريف بعضنا البعض. ويضيف فاهيم أنه في هذه العملية، غالبًا ما يقع كاتب الرحلات في فخ محاولة السيطرة على الواقع من خلال الوصف

الإثنوغرافي الذي يدعي أنه الحقيقة الموضوعية (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣). في هذا السياق، يتمتع الكاتب بموقف أقوى لوصف وتقييم وتصنيف المجتمع الذي يزوره.

على عكس مصطلح ''الحدود الاستعمارية'' الذي ينظر إلى المناطق الأخرى على أنها حدود للتوسع، فإن مفهوم ''الإتصال الثقافي'' يغير هذه النظرة. يؤكد برات أن العالم الإمبريالي لا ينبغي قراءته كقصة غزو أحادية الاتجاه، بل كفضاء لقاء حيث تتواجد معًا كيانات من مواقع غير متكافئة وتشكل بعضها البعض (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٨). لذا، لا يركز مفهوم ''الإتصال الثقافي'' فقط على من يهيمن، بل على كيفية إدارة تلك العلاقة في الممارسة اليومية، بما في ذلك من خلال التفاعلات التي يتم تمثيلها عبر السرد والحوار. ومن هذا المنظور، لم تعد كتابات الرحلات تُقرأ كأقارير عن نتائج الأنشطة الزيارة فحسب، بل كجزء من تفاعلات القوة في ''الإتصال الثقافي.''

٢. التبادل الثقافي (*Transkulturasi*)

إحدى العمليات المهمة التي تنشأ من الإتصال الثقافي هي التبادل الثقافي (Pratt، ١٩٩٤) . يُفهم التبادل الثقافي عمومًا على أنه عملية تقوم فيها ثقافة ما بتطبيق سمات ثقافة أخرى لتشكيل ثقافة جديدة، لكن برات يفسر ذلك بشكل مختلف. يستخدم برات مصطلح التبادل الثقافي لوصف العملية التي ''يختار فيها أفراد المجموعات التابعة أو المهمشة ويبتكرون'' من العناصر الثقافية التي تنقلها الثقافة المهيمنة/الحضرية (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧). وقد أطلق هذا المصطلح في الأصل فرناندو أورتيز في أربعينيات القرن الماضي ليحل محل المفاهيم المفرطة في التبسيط مثل التبادل الثقافي والاندماج (Acculturation) و (Assimilation) (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٣٦). في شرح برات في مقال ''فنون الإتصال الثقافي''، يستخدم علماء الإثنوغرافيا هذا المصطلح للإشارة إلى عملية الاختيار والإبداع تلك.

المبدأ الأساسي هنا هو أن الطرف الخاضع لا يتحكم دائمًا في ما «يأتي» من الثقافة المهيمنة، ولكنه يستطيع أن يحدد إلى حد ما ما يتم استيعابه، وكيفية استخدامه، وما هي معناه (Pratt، ١٩٩٢). بالنسبة لـ برات، التبادل الثقافي هو عملية يستخدم فيها ''المستعمرون'' ما يأتي من الثقافة المهيمنة ويستفيدون منه ثم يمنحونه معنى جديدًا (Pratt، ٢٠٠٨، ص.٧؛ Pratt، ١٩٩٤). في هذه العملية، لا تقبل الجهة التي تقع في موقع الهيمنة الثقافة السائدة بالكامل، بل تقوم باختيار العناصر الثقافية القادمة من الموقع الأقوى ثم تضفي عليها معنى جديدًا وفقًا لمصالحها وسياقها الخاص. في سياق *Imperial Eyes*، يُفهم التبادل الثقافي على أنه ظاهرة مميزة لالإتصال الثقافي، ويوجه برات ذلك نحو سؤال تحليلي: ما الذي يفعله ''المستقبلون'' لالإمبريالية تجاه المنظور الحضري، وكيف يستجيبون، وكيف ''يردون (*Talk back*) ''(Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧). لا تحدد التبادل الثقافي الأصل الجغرافي للشخص، بل موقع القوة. يمكن لأي شخص في موقع غير مهيمن أن يقوم بالتبادل الثقافي عندما يستخدم أدوات الخطاب المهيمن للتعبير عن تجربته الخاصة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٦-٧، ١١-١٢).

فيما يتعلق بكتابة الرحلات، يمكن فهم التبادل الثقافي على أنه الطريقة التي يستخدم بها الكاتب نوعًا أدبيًا أو لغة أو أسلوبًا معينًا للتعبير عن تجربته الخاصة من داخل ''منطقة التلاقي''تلك. يمكن للكاتب أن يستخدم شكلاً راسخًا أو شائعًا من أشكال كتابة الرحلات، لكن محتواه مليء بوجهات نظر وتقييمات ومواقف هوية لا تتوافق أو تتطابق مع الخطاب المهيمن. لذلك، فإن الإتصال الثقافي في كتابة الرحلات ليست مجرد مساحة للهيمنة، بل هي أيضًا مساحة لتفاوض المعنى وموقف الفاعل. ومن هنا يتضح أن كتابة الرحلات تعمل كساحة للخطاب، حيث تُمارس علاقات القوة وتُتفاوض وتُعاد إنتاجها من خلال السرد.

٣. إدعاء الحياد (*Anti-Conquest*)

في كتابات الرحلة، يشرح برات أيضًا وجود مفهوم ''إدعاء الحياد'' الذي يمثل استراتيجية تمثيلية تظهر كمنافس للخطاب الإمبريالي القديم الذي كان يدعو صراحةً إلى الغزو، وتحويل الأديان، والاستيلاء على الأراضي، والعبودية. فبينما كان الاستعمار القديم يعرض السلطة بشكل صريح، يعمل مفهوم ''إدعاء الحياد'' على بناء صورة لأوروبا باعتبارها سلطة عالمية ''بريئة'' ومتحضرة، وتتصرف باسم العلم أو الإنسانية (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٣٨). في مصادر أخرى، يوضح أيضًا أن مهام الرحلات التي كانت في البداية ذات طابع استكشافي–مادي بدأت تتحول إلى مهام اكتشاف علمي أكثر منهجية (فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧–١٨). ولذلك، لا يمكن فهم «إدعاء الحياد» إلا بشكل نسبي، أي في علاقتها بالتوسع الأوروبي الأسبق ذي الطابع ما قبل البرجوازي. وبالتالي، في كتابات الرحلات، يشير مصطلح ''إدعاء الحياد'' إلى تحول في الطريقة التي تُمارس بها الهيمنة الإمبريالية رمزياً.

ثم استخدم برات مصطلح ''إدعاء الحياد'' لشرح استراتيجية التمثيل في كتابات الرحلات الحديثة. يشير هذا المصطلح إلى الطريقة التي يعرض بها الرعايا البرجوازيون الأوروبيون أنفسهم على أنهم شخصيات بريئة ومحايدة وغير طموحة للسيطرة، بينما يؤكدون في الوقت نفسه على الهيمنة الأوروبية ويعززونها (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩). على سبيل المثال، يصف أحد المسافرين المنطقة التي يزورها بأنها مساحة طبيعية ''جميلة'' و''طبيعية'' و''قابلة للاستكشاف''، متجاهلاً وجود المجتمعات المحلية وأساليب حياتها. من خلال وضع نفسه كمراقب يكتفي بالاستمتاع والتدوين، يبدو الكاتب عديم السلطة، في حين أن وصفه في الواقع يضع تلك المنطقة في إطار مساحة تستحق التنظيم أو التطوير أو ''التحسين''. وبالتالي، فإن ''إدعاء الحياد'' ليست رفضًا للإمبريالية، بل هي شكل

جديد من أشكال الهيمنة التي تعمل بشكل أكثر دقة من خلال اللغة ووجهة النظر والادعاءات الأخلاقية حول الحياد.

علاوة على ذلك، يؤكد برات أن جوهر «إدعاء الحياد» يتجلى أيضًا في الطريقة التي يتم بها تصوير المناطق التي كان السكان المحليون يسكنونها ويديرونها ويمنحونها معانيً، على أنها مساحات «خالية» أو «غير منتجة»، لأنها لا تتوافق مع منطق الرأسمالية الأوروبية. في نصوص الرحلات، غالبًا ما يتم فصل المناظر الطبيعية عن البشر الذين يعيشون فيها، مما يجعل مساحات معيشة السكان المحليين تبدو عديمة القيمة. في حين أن هذا الفضاء، بالنسبة للمجتمعات المحلية، مليء بالتاريخ والوظائف الاجتماعية والمعاني الرمزية. إن محو المعرفة وأساليب الحياة المحلية من هذه السردية هو ما أدى إلى الاستعمار الرمزي، حيث لا تبدو أوروبا وكأنها تستعمر، لكن كتاباتها تهيئ المنطقة تدريجياً للمطالبة بها واستغلالها (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٦٠).

وبالتالي، في إطار ماري لويز برات، لا يشير مصطلح ''إدعاء الحياد'' إلى نية واعية للاستعمار، بل إلى أسلوب التمثيل الذي يسمح للكاتب بوضع نفسه في موقع الموضوع المحايد والمتحضر. ومن خلال ادعاء الحياد هذا، يكتسب الكاتب سلطة تعريف وتقييم المنطقة التي يزورها. ينتج عن هذه العملية هيمنة رمزية، لأن علاقات القوة تُبنى من خلال اللغة والسرد، دون الحاجة إلى إظهار الغزو أو التوسع بشكل صريح.

٤. الرجل البصير (*Seeing-Man*)

الشخصية المركزية التي تلعب دورًا مهمًا في استراتيجية التمثيل والهيمنة االإمبريالية هي الشخصية التي أطلق عليها برات اسم ''الرجل الناظر''، أي الذكر الأبيض الأوروبي في خطاب المناظر الطبيعية الأوروبية الذي ينظر إلى العالم من خلال ما يُسمى ''العين االإمبريالية''. وقد صيغ هذا الاسم عمدًا ليكون ''غير ودود''، لأن هذا الشخص يبدو

وكأنه يحدق بشكل سلبي فحسب، في حين أنه في الواقع، من خلال ''عينيه الإمبراطوريتين''، ينظر إلى الخارج في الوقت نفسه ويدعي ملكية ما يعتبره ملكه (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩). يضع برات ''الرجل الناظر'' كشخصية رئيسية في استراتيجية التمثيل التي يربطها بمحاولة لتأكيد الهيمنة مع الحفاظ على انطباع ''البراءة'' (Pratt، ٢٠٠٨).

يضع هذا الشخص نفسه في دور المراقب الذي يبدو وكأنه يكتفي بمشاهدة وتسجيل وإعجاب بما أمامه، وإعادة تشكيل تلك الحقيقة وفقًا لتفسيره الشخصي، دون أن يبدو متورطًا بشكل مباشر في علاقات القوة (خليل، ٢٠٠٥، ص. ٩). ومع ذلك، من خلال نشاطه في المشاهدة وتدوين تجربته، فإنه في الواقع يحدد كيف يُفهم القارئ تلك المنطقة ومجتمعها. هذا الموقف الذي يبدو محايدًا وسلبيًا هو ما يصبح بعد ذلك وسيلة خفية للكاتب لبناء سلطة في وصف وتقييم العالم الذي يزوره.

من الناحية العملية، يمكن استخدام ''الإنسان الناظر'' لتحديد أجزاء من السرد عندما: (١) يتخذ موقف المراقب الذي يتمتع بالسلطة، (٢) يقدم تقييمًا يبدو موضوعيًا، و(٣) يحول المكان والأشخاص إلى ''مشهد'' جاهز للتصنيف أو التقييم أو التعريف من وجهة نظره(Pratt، ٢٠٠٨) .من خلال هذا المفهوم، لا يكفي أن يكتفي التحليل بذكر أن ''الشخصية ترى''، بل يجب أن يفحص كيف تبني ''طريقة الرؤية'' هذه علاقات القوة، بما في ذلك من خلال الأسلوب والتعميم والتصنيف الذي يضع ''الآخر'' ككائن للمعرفة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩).

٥. إنتاج المعرفة الاستعمارية (*Colonial Knowledge Production*)

تستمد كتابات الرحلة قوتها المعنوية ليس فقط من تجربة الرحلة بحد ذاتها، بل من عملية الكتابة ونشرها على القراء. من خلال الكتابة، تتحول التجربة الفردية للمسافر إلى معرفة تُعتبر صحيحة عن منطقة ما. وفي هذه العملية، تعمل كتابات الرحلة كوسيلة

لتكوين المعرفة عن المنطقة التي تُعتبر «أخرى»، على سبيل المثال من خلال التقارير العلمية أو الأوصاف الجغرافية أو ملاحظات الحياة الاجتماعية. ثم تظهر المنطقة المكتوبة ككائن يمكن التعرف عليه وقياسه وإدارته. وبهذه الطريقة، تصبح كتابات الرحلة وسيلة رئيسية لتشكيل فهم القارئ للمكان والطبيعة والمجتمع ''الآخر.''

تعد ادعاءات الموضوعية والحياد في هذه العملية جزءًا من استراتيجية إدعاء الحياد، لأن الكاتب يبدو أنه يكتفي بالتقرير، في حين أنه يساهم في تحديد الطريقة التي يُفهم بها القارئ تلك المنطقة، وبشكل غير مباشر يعزز الهيمنة الإمبريالية (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٢٠). وهنا تعمل ادعاءات الموضوعية والحياد كوسيلة للسيطرة، ولذلك يشير برات إلى أن الكاتب غالبًا ما يدعي أن نشاطه هو نشاط ''غير ضار'' و''بلا مصلحة''، لمجرد العلم والفضول (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٥٦).

في الختام، من المهم التأكيد على أنه على الرغم من أن إطار فكر برات متجذر في نقد التوسع الاستعماري الأوروبي، فإن مفهوم الإتصال الثقافي واستراتيجيات التمثيل فيها ليست ثابتة ولا تقتصر على الموضوعات الأوروبية وحدها. ويؤكد برات نفسه أن الإتصال الثقافي هي فضاء اجتماعي يتم فيه وضع الموضوعات في علاقات قوة غير متكافئة، بغض النظر عن الحدود الجغرافية الصارمة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧). ولذلك، فإن آليات مقاومة الاستعمار وتكوين المعرفة الاستعمارية تعمل في تحليل كيفية قيام نص الرحلة ببناء المعرفة. وكما أكد برات، فإن التركيز الرئيسي لهذه الدراسة هو على ''كيفية تشكيل الموضوعات في وعبر علاقاتها ببعضها البعض'' داخل فضاء اللقاء الإمبراطوري (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٨). ويسمح استخدام هذه النظرية للباحثين برؤية كيف يتحرر الكاتب من خلفيته القومية ليتمكن من تبني الأدوات السردية السائدة لبناء السلطة وإنتاج المعرفة الاستعمارية حول المنطقة التي يزورها.

د. نقد وجهة نظر ماري لويز برات في كتابة الرحلة

على الرغم من أن الإطار الفكري الذي طرحته ماري لويز برات في كتابها «*Imperial Eyes*» قد قدم مساهمة نظرية كبيرة لدراسات أدب الرحلة، إلا أن هذه النظرية لم تخلو من انتقادات مهمة. أحد النقاط الرئيسية التي تم تسليط الضوء عليها يتعلق بالمستوى المنهجي، أي إلى أي مدى تعمل مفاهيم مثل التبادل الثقافي والإتصال الثقافي بشكل فعلي في الممارسة الاجتماعية، أم أن هذه المفاهيم في النهاية لا تتعدى كونها مجرد تأثير بلاغي داخل النص. على سبيل المثال، تقر كاثرين هول بأن القوة الرئيسية لكتاب ''عيون االإمبريالية'' تكمن في نطاق تحليله الواسع وحدة حججه في تسليط الضوء على العلاقة بين 'المكتشف' و''المكتشف''، بالإضافة إلى اهتمامه الشديد بأشكال مقاومة الشعوب المستعمرة (Hall، ١٩٩٠). لكن من ناحية أخرى، ترى هول أن برات لم يقدم أدلة مقنعة كافية بشأن ما إذا كان التحول الثقافي في الإتصال الثقافي قد حدث بالفعل، أو كيف تشكلت الفكر الأوروبي بالضبط من خلال هذا اللقاء. علاوة على ذلك، ينتقد هول ميل هذه النظرية إلى قراءة النص في كثير من الأحيان بمعزل عن السياق التاريخي للقارئ، كما ينتقد وجهة نظر برات التي تميل إلى معاملة ''أوروبا'' ككيان متجانس أو متجانس للغاية (Hall، ١٩٩٠) .

وتستهدف الانتقادات التالية تعميمات برات بشأن مفهوم ''براءة (*Innocence*)'' المسافرين في استراتيجية إدعاء الحياد. وبناءً على فحص مذكرات أربعة مسافرين في القرن الثامن عشر في جنوب إفريقيا، اتضح أن مؤلفي رحلات الرحلة هؤلاء لم يظهروا دائمًا كأطراف تعمل بشكل متسق أو دون وعي على تعزيز الهيمنة الأوروبية. في بعض أجزاء السرد، يمكنهم في الواقع إظهار التعاطف مع السكان الأصليين، بينما في أجزاء أخرى يدعمون بشكل صريح الأهداف الإمبريالية. تثبت هذه النتائج أن فكرة ''براءة'' المسافرين أصبحت أقل ثباتًا ولا يمكن تطبيقها كنمط واحد جامد، وبالتالي

فإن تورط الكاتب في الإمبريالية يجب قراءته بشكل أساسي من خلال قراءة أكثر شمولية مدعومة بأدلة تاريخية قوية (Guelke & Guelke، ٢٠٠٤).

في تطور الدراسات التي أعقبت برات، تعرض مفهوم الإتصال الثقافي أيضًا لانتقادات لأن تطبيقه يُعتبر مفرطًا في النمطية ويهيمن عليه تحليل الخطاب أكثر من تمثيله للتجربة الواقعية. سلط شورش الضوء على هذه النقطة مؤكدًا أن تبني مفاهيم مثل ''المتحف كالإتصال الثقافي'' غالبًا ما يغفل تقديم أدلة تجريبية حول كيفية عيش الأفراد لتجربة ''التلامس'' هذه فعليًا، وما تعنيه بالنسبة لهم، وكيف تتجسد المفاوضات أو الصراعات التي تحدث فيها بشكل ملموس(Schorch، ٢٠١٥) ونتيجة لذلك، فإن الكثير من الأدبيات التي تستخدم هذا المفهوم تميل إلى الابتعاد عن المنظور المؤسسي (المتحف)، مما يؤدي بدوره إلى تقليص عمق تفسير المعاني التي يبنيها الزوار أو الفاعلون الثقافيون أنفسهم Schorch, ٢٠١٥، ص. ١١ و ٦٨).

الفصل الثالث

منهجية البحث

أ. نوعية منهج البحث

نوع البحث المستخدم في هذه الدراسة هو البحث النوعي مع نموذج تفسيري. ويستند اختيار النموذج التفسيري إلى محور البحث، الذي يهدف ليس فقط إلى وصف المحتوى الحرفي للنص، ولكن أيضًا إلى فهم وتفسير المعنى الأعمق وراء استراتيجية التمثيل التي اتبعها المؤلف (توفيق حبيب) للمناطق التي زارها. النموذج التفسيري هو منظور في البحث يركز على فهم معنى ظاهرة ما بناءً على وجهة نظر الموضوع وكيفية بناء تلك الحقيقة من خلال اللغة (Miles et al.، ٢٠١٤). وهذا يتماشى مع نظرية ''عيون االإمبريالية'' لماري لويز برات، التي تنظر إلى نصوص الرحلات ليس كأخبار محايدة، بل كبناءات ذاتية تحتوي على علاقات قوة. باستخدام النهج التفسيري، يمكن للباحثين تحليل كيفية تفسير تجارب الرحلات في النص الرحلي(TRAVELOGUE) ''رحلة إكسبرس" وتحويلها إلى معرفة استعمارية.

تم استخدام نهج نوعي في هذه الدراسة لأن البيانات التي تم إنتاجها كانت وصفية بطبيعتها، وتتألف من كلمات وعبارات وجمل واردة في النص، بدلاً من البيانات الرقمية أو الأرقام. النهج النوعي هو إجراء بحثي ينتج البيانات الوصفية التي يحتاجها الباحثون عندما يرغبون في فهم قضية ما بعمق وشمولية (Miles et al.، ٢٠١٤) .طبيعة هذا البحث وصفية– تحليلية، حيث يهدف إلى شرح كيفية عمل الإتصال الثقافي واستراتيجيات إدعاء الحياد في النص بشكل تفصيلي ومنهجي. يتيح الجمع بين النهج النوعي والنموذج التفسيري للباحثين دراسة موقف توفيق حبيب كرجل الناظر بشكل نقدي وكشف أبعاد القوة الكامنة وراء سرد الرحلة العربية إلى المنطقة التركية.

ب. البيانات ومصادرها

البيانات المستخدمة في هذه الدراسة هي بيانات نصية نوعية، وهي عبارة عن وحدات لغوية تتكون من كلمات أو عبارات أو جمل أو فقرات واردة في النص "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول" لتوفيق حبيب. وقد تم اختيار البيانات على وجه التحديد بناءً على مؤشرات وصف الإتصال الثقافي وتطبيق استراتيجيات إدعاء الحياد في سرد رحلة توفيق حبيب. بالإضافة إلى ذلك، تتضمن البيانات في هذه الدراسة أيضًا وحدات نصية تمثل عملية تكوين المعرفة الاستعمارية فيما يتعلق بالمناطق والمجتمعات التي زارها المؤلف.

تم الحصول على البيانات من فئتين من مصادر البيانات، وهما مصادر البيانات الأولية ومصادر البيانات الثانوية:

أ. مصدر البيانات الأولية

في هذه الدراسة هو كتاب رحلات باللغة العربية للكاتب توفيق حبيب بعنوان "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول". النسخة المستخدمة في هذه الدراسة هي النسخة الرقمية التي نشرتها مؤسسة هنداوي في عام ٢٠٢٢ (https://downloads.hindawi.org/books/٢٩٢٦٠٤١٧.pdf). يحتوي هذا النص على سرد المؤلف لرحلته من الإسكندرية إلى إستامبول والمناطق المحيطة بها، والتي أصبحت المادة الرئيسية التي تم تحليلها باستخدام نظرية ماري لويز برات.

ب. مصادر البيانات الثانية

في هذه الدراسة مختلف المؤلفات الداعمة ذات الصلة لتعزيز التحليل التفسيري. المصدر الثانوي الرئيسي هو كتاب ماري لويز برات *Imperial Eyes: Travel Writing and Transculturation*، الطبعة الثانية (٢٠٠٨)، باعتباره مصدراً موثوقاً للإطار النظري المستخدم. بالإضافة إلى ذلك، تدعم هذه الدراسة أيضًا بيانات ثانوية في شكل مقالات من مجلات دولية ووطنية حول موضوع كتابة الرحلات وتطبيق نظرية برات في سياقات أدبية مختلفة لتوفير مقارنات وتعزيز الحجج في التحليل.

ج. تقنية جمع البيانات

تتألف تقنيات جمع البيانات المستخدمة في هذه الدراسة من تقنيتين رئيسيتين، هما القراءة وتقنية الكتابة ، مع الإجراءات التفصيلية التالية:

١. تقنية القراءة

أ) قرأ الباحث نص ''رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' بدقة لفهم مسار الرحلة وموقف المؤلف السردي.

ب) أجرى الباحث قراءات متكررة لرسم خريطة للوحدات النصية التي يشتبه في احتوائها على ظواهر الإتصال الثقافي واستراتيجيات إدعاء الحياد.

ج) أجرى الباحث قراءة نقدية للتحقق من صحة البيانات استنادًا إلى المعايير النظرية لماري لويز برات وناقشها مع زملائه لتجنب التحيز التفسيري.

د) قرأ الباحث الأدبيات الداعمة مثل كتاب بر *Imperial Eyes* والمجلات والمقالات ذات الصلة لتعزيز أساس التحليل.

٢. تقنية الكتابة

أ) سجل الباحث وإستشهد بالوحدات اللغوية (الكلمات، العبارات، الجمل، أو الفقرات) التي تحتوي على عناصر من الإتصال الثقافي واستراتيجيات إدعاء الحياد.
ب) جمع الباحث البيانات وصنفها بناءً على الموقع الجغرافي (المكاني) لرحلات توفيق حبيب لتسهيل رسم خريطة علاقات القوة في كل نقطة تمت زيارتها.
ج)سجل الباحث المعلومات المهمة من المصادر الثانوية التي تدعم الأدلة على ممارسات إنتاج المعرفة الاستعمارية في النص.

د. تقنية تحليل البيانات

تستخدم تقنية تحليل البيانات المستخدمة في هذه الدراسة النموذج التفاعلي الذي طوره مايلز وهوبيرمان وسالدايا. تم إجراء التحليل من خلال ثلاث مراحل رئيسية، وهي تكثيف البيانات وعرض البيانات واستخلاص النتائج أو التحقق منها (Miles et al.، ٢٠١٤). فيما يلي وصف لتسلسل التحليل في هذه الدراسة :

١. تكثيف البيانات.

أ) قام الباحث بتصفية جميع الروايات الواردة في نص رحلة إكسبرس لاختيار الوحدات اللغوية (الكلمات أو العبارات أو الجمل) ذات الصلة بموضوع البحث.
ب) قام الباحث بتبسيط وتلخيص البيانات النصية العربية الأصلية المتعلقة بظاهرة الإتصال الثقافي واستراتيجيات إدعاء الحياد.
ج) قام الباحث بالترميز لتحديد موضوعات ''البراءة'' أو التسميات الموثوقة التي استخدمها توفيق حبيب في روايته.
د) قام الباحث بتحسين وتركيز البيانات المختارة لتلائم احتياجات الإجابة على سؤال البحث المتعلق بإنتاج المعرفة الاستعمارية.

٢. عرض البيانات

أ) نظم الباحث البيانات المكثفة في سرد وصفي منظم ومنهجي.
ب) قام الباحث بتجميع جدول يصنف البيانات بناءً على الموقع الجغرافي (المكاني) للرحلة لرسم خريطة لديناميات السرد في كل نقطة تمت زيارتها.
ج) قدم الباحث النص العربي الأصلي إلى جانب ترجمته وتفسيره الأولي.
د) شرح الباحث أنماط عمل ''عيون إمبراطورية'' لتوفيق حبيب من خلال البيانات المصنفة للكشف عن العلاقة بين الإتصال الثقافي واستراتيجية السرد لدى المؤلف.

٣. استخلاص النتائج والتحقق منها

أ) يبدأ الباحث في البحث عن الأنماط والتفسيرات والعلاقات السببية التي تظهر من البيانات منذ بداية عملية التحليل.
ب) أجري الباحث تفسيرًا متعمقًا للبيانات المقدمة لاستنتاج كيفية قيام توفيق حبيب ببناء الأخر في المعرفة الاستعمارية.
ج) تحقق الباحث من الاستنتاجات الأولية المؤقتة من خلال مراجعة البيانات الأولية في النص الأصلي.
د) ناقش الباحث النتائج مع زملائه للتأكد من صحة المعنى التفسيري وموضوعية الاستنتاجات النهائية حتى يتم الإجابة على جميع أسئلة البحث بشكل شامل.

الفصل الرابع

عرض البيانات وتحليلها

تم إجراء عملية بحث وتحديد الوحدات اللغوية المتعلقة بـ«الإتصال الثقافي» و«مقاومة الغزو» في قصة الرحلة «رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول». من خلال عملية التحديد والتتبع هذه، تم الحصول على إجمالي ٥٨ بيانات تشمل ٣٥ بيانات تتعلق بظاهرة الإتصال الثقافي و٢٣ بيانات تتعلق باستراتيجية مقاومة الاستعمار. ثم تم تخطيط جميع هذه البيانات وتلخيصها في مصفوفة بيانات لتقديم صورة منهجية قبل الدخول في مرحلة مناقشة أو تحليل البيانات.

أ. التمثيل الإتصال الثقافي في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول"

تتجلى ديناميكيات الإتصال الثقافي في سرد ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' من خلال المساحات التي تجمع حبيب مع أشخاص من خلفيات اجتماعية وعرقية ووطنية مختلفة. لم تكن هذه اللقاءات مجرد حقيقة وجود مشترك، بل كانت مواقف فرضت التفاوض على الهوية، وتبادل اللغات، والتعرف على ''الطرف الآخر''. في إطار ماري لويز برات، أصبحت هذه الأماكن ساحات تتشكل فيها العلاقات بين الثقافات، وتُمارس، ويُعطيها المسافر الذي يراها معنىً.

نجح تحليل ديناميكيات الإتصال الثقافي في نص ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول'' في جمع ٣٥ وحدة بيانات تعكس الإتصال الثقافي. تم تخطيط هذه البيانات في المصفوفة التالية:

مصفوفة البيانات الإتصال الثقافي			
رقم	**الفئة**	**البيانات**	**الصفحة المرجعية**
١	**مساحات اللقاء المادية**	..."ورأيت الدنيا كلها مجتمعة في الثغر؛ فالبارات والقهوات والكازينات والفنادق تعج بالشيوخ والنواب"...	ص.١٠
٢		"بلغ عدد المسافرين نحو ٤٠ شخصا مختلفي الأعمار والطبقات والمهن... فمن فلسطين... ومن أسيوط"...	ص.١٣
٣		"وطلبنا الماء، فأسعفتنا به فتيات حسان وملأن الأكواب والطاسات فشربنا منها"...	ص.٢٩
٤		فلم يتجاوز عدد المخيمين ٤٠ عضوا معظمهم من الأتراك بين ترك وأرمن ويونان ويهود، وإلى جانبهم أقلية من بلغار وروس وإنكليز وأمريكيين وكلدان وفرس	ص.٣٩
٥	**اللقاء اللغوي**	"تحدثنا بالعربية والفرنسوية والإنكليزية".	ص.٤٠
٦		"وتعارفنا بعدد كبير من طلبة المدارس الحربية الذين يجيدون اللغتين الفرنسوية والإنكليزية".	ص.٢٢
٧		..."وشاركناهم نومهم وتبادلنا معهم الطعام والشراب".	ص.٢١-٢٢

٨	**اللقاء الاجتماعي**	"وتعرفت إلى جاري العلوي فإذا به يوناني تعلم في روسيا"...	ص.٤٢
٩		"فالعنب والتين مع وفد فلسطين، و «الكبيبة الشامي» و«البسبوسة» لدى الأخ فؤاد كنعان"...	ص.١٤
١٠	**التقاء السلطات**	"وأبي الأتراك أن يعترفوا للصحافيين بهذا الحق... إن الكل لديهم سواء في المعاملة".	ص.١١
١١		"والحلاق إلى جانب باب الفندق... وأبى أن يترك الموسى قبل أن يقول لي إنه كان مزين سمو الأمير أحمد أفندي"...	ص.٣١

بناءً على تصنيف البيانات أعلاه، يتم شرح كل بيانات تم تجميعها ضمن عدة فئات من اللقاءات ونتائج ما حدث فيها في الشرح التالي:

١. مساحات اللقاء المادية

لا تنفصل ديناميكيات الإتصال الثقافي في رواية ''رحلة إكسبريس'' للكاتب توفيق حبيب عن الدور المهم الذي يلعبه مكان اللقاء المادي باعتباره الساحة التي تبادر إلى إحداث اللقاء بين الثقافات. فهذه الأماكن هي التي تعمل بعد ذلك كحاوية تفرض التواجد المشترك على الكيانات التي تفصلها المسافات الجغرافية والتاريخية. وصف حبيب المرحلة الأولى من اللقاء منذ نقطة الانطلاق في ميناء الإسكندرية بالعبارة التالية:

...''ورأيت الدنيا كلها مجتمعة في الثغر؛ فالبارات والقهوات والكازينات والفنادق تعج بالشيوخ والنواب والعمد والأعيان وكتاب الصحف ممن أتوا زرافات لوداع رئيس الحكومة.'' (حبيب، ٢٠١٥، ص. ١٠)

في الاقتباس النصي أعلاه، يُفسَّر ميناء الإسكندرية ظاهريًا على أنه نقطة الصفر أو عتبة باب لقاء ما. استخدام عبارة ''العالم كله مجتمع'' يشير إلى أن الميناء كفضاء مادي ليس مجرد بنية تحتية للنقل، بل هو صورة مصغرة للمجتمع حيث تبدأ حدود الهوية المحلية في التلاشي. تجمع مختلف الطبقات الاجتماعية والمهن في نفس المكان، بدءًا من الشخصيات الدينية وحتى الصحفيين، يدل على بداية تنوع سيطبع الرحلة.

إذا تم تحليل هذه الظاهرة من منظور ماري لويز برات، فإن تجمع العالم بأسره في الميناء يتوافق مع مفهوم ''التواجد المشترك (*Copresence*) ''(Pratt، ١٩٩٢، ص. ٧). تبدأ الإتصال الثقافي من حشد متنوع في لحظة زمنية ومكانية واحدة، مما يجبر الفرد على التخلي عن حصرية هويته ليصبح جزءًا من مجتمع رحلة أوسع. علاوة على ذلك، فإن الظاهرة في هذا الميناء تمثل نقطة البداية لما يسميه حسين محمد فهيم ''المواجهة الحضارية'' (فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧) . يصبح الميناء مساحة التقاء أولى حيث تستعد الهوية الذاتية لمواجهة كيانات أخرى والتفاعل معها بشكل مكثف.

ثم استمر هذا اللقاء الجسدي وتبلور في مساحة أكثر ضيقاً وحركة، أي على متن السفينة التي تنقل المجموعة إلى اسطنبول. سجل حبيب تكوين الركاب في تلك المساحة الانتقالية كما في الاقتباس التالي:

"بلغ عدد المسافرين نحو ٤٠ شخصاً من مختلف الأعمار والطبقات والمهن. فمن فلسطين الأساتذة: حبيب خوري المفتش بالمعارف... ومن أسيوط الأساتذة المحامون... ومن موظفي جمعية الشبان المسيحية بمصر والإسكندرية المستر أتول وزوجته وأولاده"(حبيب، ٢٠١٥، ص. ١٣)

من البيانات أعلاه، يتضح جلياً كيف تم ترسيخ السفينة كالإتصال الثقافي متحركة. على عكس الميناء الذي يتسم بطابعه المفتوح، فإن السفينة هي مساحة محدودة تفرض حدوث تواصل مستمر بين ركابها.

إن وجود أشخاص من فلسطين ومصر (أسيوط والإسكندرية)، وصولاً إلى ممثلي المؤسسات الغربية (جمعية الشبان المسيحيين) على متن سفينة واحدة، من وجهة نظر برات، يخلق ساحة لقاء بين الثقافات حيث يتلامس أفراد من خلفيات متباينة داخل الإتصال الثقافي (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٣٤). أدى الحيز المادي للسفينة فعلياً إلى إزالة المسافات الجغرافية بين الدول وخلق مجتمعاً مؤقتاً أُجبر على التفاعل بشكل مكثف بسبب محدودية حرية الحركة. وأصبحت هذه التباينات في المهن والخلفيات الوقود الرئيسي لحدوث تجاذب المصالح والتبادل الثقافي داخل الإتصال الثقافي. في هذا الفضاء المحدود، تعمل وظيفة الرحلة باعتبارها ''عين الجغرافيا المبصرة'' (الرحلة عين الجغرافيا المبصرة) بأقصى قدر ممكن، كما عبر عن ذلك صلاح الشامي (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٨). يقوم الكاتب بشكل نشط بتحديد وتصنيف الطرف الآخر، مما يجعل السفينة ليست مجرد وسيلة نقل، بل مختبرًا حيًا يراقب فيه المسافر تنوع البشر وموقعه بينهم.

تكتسب التوترات الجسدية على متن السفينة ''نفسًا'' جديدًا عندما تصل المجموعة إلى اسطنبول وتتفاعل في الأماكن العامة بالمدينة قبل الانطلاق إلى المخيم. هنا يحدث لقاء جسدي ذو طابع عضوي وغير منظم، كما يتضح عندما يستكشف حبيب منطقة القلعة:

...''وطلبنا الماء، فأسعفتنا به فتيات حسناً وملأن الأكواب والطاسات فشربنا منها...''

(حبيب، ٢٠١٥،ص. ٢٩)

من الناحية النصية، يُظهر هذا التفاعل جانبًا آخر من اللقاء الجسدي العفوي. فالمساحات العامة العضوية مثل شوارع المدينة تمنح حبيب، بصفته فاعلًا، الحرية في التواصل مع السكان المحليين انطلاقًا من تلبية الحاجات الأساسية، مثل العطش.

في سياق ''الإتصال الثقافي''، يُظهر هذا اللحظة أن اللقاء لا يرتبط دائمًا بإكراه مؤسسي جامد، بل أيضًا بالرغبة الذاتية في لمس واقع مجتمع آخر بشكل مباشر، حيث تظل أشكال التعبير والتفاوض الثقافي قائمة حتى في التفاعلات اليومية التي تبدو بسيطة (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٣٤). يثبت هذا التفاعل العفوي أن الكاتب ليس مجرد ''آلة تسجيل'' سلبية، بل إنسان له عواطف واحتياجات. وتمشياً مع التأكيد على أن الرحلة يجب أن يكون لها صدى داخلي (الندوي، ١٩٩٧، ص. ٦٤-٦٥)، فإن هذا التفاعل العضوي يهدم حواجز الشكليات بين حبيب والأشخاص الآخرين الذين يلتقي بهم، مما يجعل الملاحظات الناتجة أكثر حيوية وإنسانية.

توجت مساحة اللقاء المادي في هذه الرحلة في مخيم سعدية في تركيا. لم تعد هذه المساحة ذات طابع عابر كالسفينة، بل أصبحت ساحة مبنية، كما وصفها حبيب في الجملة التالية:

''فلم يتجاوز عدد المخيمين ٤٠ عضواً، معظمهم من الأتراك بين ترك وأرمن ويونان ويهود، وإلى جانبهم أقلية من بلغار وروس وإنكليز وأمريكيين وكلدان وفرس...''

(حبيب، ٢٠١٥،ص. ٣٩)

يمثل مخيم سعدية، استناداً إلى عرض البيانات المذكور، أعلى مستوى من التعقيد لمساحة لقاء مادي. هنا، يصور حبيب واقع الإتصال الثقافي تقع داخل الإتصال الثقافي أخرى؛ فهو يرى التنوع الداخلي العرقي والديني على الأراضي التركية يتلامس مباشرة مع الأقليات الأوروبية والآسيوية الأخرى.

من الناحية النظرية، تم بناء هذا المخيم بشكل مؤسسي ويعمل كمختبر اجتماعي حيث تُجبر الاختلافات الهوياتية الحساسة تاريخياً على التعايش في نظام بيئي مادي واحد. وتصبح المساحات الوظيفية داخل المخيم، مثل الخيام والساحات، أدوات للمؤسسة المنظمة للتوسط في اللقاء بين هذه الهويات. لم يعد الفضاء المادي مجرد خلفية للمكان، بل أصبح فاعلاً نشطاً يحث على حدوث لقاء والتعرف على ''الطرف الآخر'' بشكل مباشر ومستمر (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٨). هذا المخيم هو أبلغ تجسيد للمواجهة الحضارية. ففي داخل هذا المخيم، تُختبر قدرة المسافر على مواجهة المواجهة الحضارية على نطاق صغير (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧). إن وجود كيانات قومية متنوعة في فضاء واحد يجبر الكاتب على إعادة تموضع هويته العربية باستمرار وسط هيمنة التمثيل الغربي وتنوع الشرق.

من المناقشة أعلاه، يتطور الفضاء المادي للقاء بدءًا من فضاء مرن ومفتوح (ميناء الإسكندرية)، ليضيق إلى فضاء انتقالي قسري (التواجد المشترك على متن السفينة)، ثم يعود إلى الانفتاح في تفاعل عضوي في الفضاء العام (شوارع اسطنبول)، حتى يبلغ

ذروته في فضاء مؤسسي شديد التنظيم (مخيم السعدية). من خلال منظور كتاب ''عيون إمبراطورية'' لبرات، يمكن إثبات أن هذه الأماكن المادية تكشف تدريجياً عن هوية الفاعلين فيها، مما يجبر ''الذات'' على التفاوض المستمر، والمراقبة، وإنتاج المعاني حول وجود الآخرين من حولها.

٢. اللقاء اللغوي

إلى جانب مساحات اللقاء المادية، تتجلى اللقاءات بين الثقافات فيفي النص الرحلي(TRAVELOGUE) رحلة إكسبرس بشكل عميق من خلال البعد اللغوي. فاللغة تعمل كأداة للتفاوض وكعلامة تحدد حدود الهوية بين الأطراف المتقابلة. ويظهر هذا بوضوح عندما توحد التنوع العرقي في مخيم سعدية باستخدام لغة دولية:

''تحدثنا بالعربية والفرنسية والإنجليزية. عند وصولنا إلى وسط المخيم، أحاطت بنا مجموعة منهم وتحدثوا باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.'' (حبيب، ٢٠١٥،ص. ٤٠)

يُظهر هذا الاقتباس بشكل مباشر أن اللغة تعمل كجسر الإتصال عملي للغاية. يعكس استخدام اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية في آن واحد محاولة الأشخاص لإيجاد نقطة التقاء في التواصل وسط اختلاف اللغات الأم لكل مشارك في المخيم.

تتوافق هذه الظاهرة مع ما أبرزته ماري لويز برات بشأن أهمية ''لغة التلامس'' (*Contact Language*)كوسيط يتيح للأفراد من خلفيات مختلفة التفاعل مع بعضهم البعض داخل الإتصال الثقافي (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٦). تتبنى هذه الفئات اللغات الدولية كأداة تفاوضية للتفاعل بفعالية في فضاء لقاء متنوع. ويحدث تجاذب ثقافي عندما يتعين على اللغة العربية، باعتبارها هوية أصل مجموعة الحبيب، أن تتعايش مع

اللغتين الفرنسية والإنجليزية اللتين تتمتعان بسلطة باعتبارهما تمثيلًا للغة الحداثة في تلك الحقبة.

هذا التفاعل اللغوي هو في جوهره تجسيد للمواجهة الحضارية (المواجهة الحضارية) التي لا مفر منها في أي زيارة، حيث يحدث تلامس مباشر بين الحبيب (الذات) و''الآخر'' (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧). يؤكد اختيار اللغة في فضاء اللقاء هذا أن التفاعل بين الثقافات دائمًا ما يكون مشحونًا بتجاذب المصالح. فاستخدام لغة أجنبية ليس مجرد وسيلة للتحية المتبادلة، بل هو شكل من أشكال التسوية وأداة لتعريف موقف الحضارات من بعضها البعض في خضم اللقاء العالمي.

علاوة على ذلك، لا يحدث هذا اللقاء اللغوي كحاجة عملية فحسب، بل يصبح أيضًا أداة يستخدمها حبيب لتقييم القدرات الفكرية لـ''الطرف الآخر''. وقد تم تسجيل ذلك عندما تفاعل حبيب مع طلاب المدارس العسكرية في تركيا:

''وتعارفنا بعدد كبير من طلبة المدارس الحربية الذين يجيدون اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

تعرفنا على العديد من طلاب المدارس العسكرية الذين يجيدون اللغتين الفرنسية والإنجليزية.'' (حبيب، ٢٠١٥،ص. ٢٢)

من الناحية النصية، يلاحظ المؤلف ويقر بإتقان الطلاب في المدارس العسكرية في تركيا للغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية). ويُظهر هذا وجود ملاحظة خاصة لقدراتهم الفكرية التي أثبتت قدرتهم على إتقان اللغات الأوروبية الرئيسية بشكل جيد.

من منظور ''الإتصال الثقافي''، يُفسَّر إتقان اللغة الأجنبية من قبل الفاعل المحلي (التركي) على أنه شكل من أشكال التبادل الثقافي، حيث يتبنى الفاعل من المنطقة

التي تُصنف على أنها هامشية مادة ثقافية (في شكل لغة) من مركز القوة العالمي (أوروبا) لبناء هوية جديدة أكثر حداثة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧). إن اعتراف حبيب بمهارة هؤلاء الطلاب العسكريين في اللغة يدل على حدوث تحول في التصور؛ فهو لم يعد ينظر إليهم ككيانات تقليدية منغلقة، بل كأفراد حديثين متساوين فكريًا بفضل تبنيهم لـ''لغة التلامس.''

إن تقييم الكاتب لمهارة اللغة هذه يظهر في الوقت نفسه كيف يسيطر المسافر بنشاط على الواقع من خلال الوصف الإثنوغرافي الذي يدعي أنه الحقيقة (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣). يمتلك الكاتب سلطة استخدام مؤشرات إتقان اللغات الأوروبية لتصنيف المجتمعات التي يزورها وتصنيف درجات تقدمها. من خلال إتقان اللغتين الفرنسية والإنجليزية، تذوب الحدود الصارمة بين ''الشرق'' و''الغرب''، مما يحول اللغة من مجرد أداة الإتصال إلى جسر خطابي يضفي الشرعية على موقع الفاعل في علاقات القوة ضمن الحضارة العالمية.

وبالتالي، فإن البعد اللغوي في ''رحلة إكسبريس'' يلعب دورًا مزدوجًا بالغ الأهمية. تعمل اللغة بشكل فعال كلغة الإتصال تتوسط عملية التبادل الثقافي داخل الإتصال الثقافي (Pratt، ٢٠١٨؛ Pratt، ١٩٩٢). من خلال إتقان اللغات السائدة، يمكن التوفيق بين المواجهة الحضارية بين ''الذات'' و''الآخر'' (فهيم، ١٩٨٩) والتفاوض بشأنها. علاوة على ذلك، تعمل اللغة كمقياس رمزي للكاتب في تقييم الموقف والقدرة الفكرية ومستوى الحداثة للموضوع الذي يواجهه، مما يجعل التفاعل اللغوي أحد أكثر مجالات تكوين المعرفة الاستعمارية وضوحًا.

٣.اللقاء الاجتماعي

البعد الثالث لالإتصال الثقافي في سرد حبيب هو اللقاء ذو الطابع الاجتماعي. فإذا كان الفضاء المادي يوفر الساحة واللغة توفر أداة التواصل، فإن التفاعل الاجتماعي هو التجسيد الملموس لإزالة الحدود بين الذاتين من خلال أنشطة الحياة اليومية. تؤكد ماري لويز برات على أنه في الإتصال الثقافي، لا يقتصر الأمر على مجرد لقاء بين الأفراد، بل إنهم ينخرطون أيضًا في علاقات مستمرة وغالبًا ما تكون حميمة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٨). وقد تم تسجيل هذه الظاهرة بقوة ويمكن ملاحظتها عندما يصف حبيب الحياة المجتمعية على متن السفينة:

...''وشاركناهم نومهم وتبادلنا معهم الطعام والشراب ''.(حبيب، ٢٠١٥،ص. ٢١-٢٢)

يُظهر الاقتباس أعلاه وجود ممارسات للحياة المشتركة تزيل المسافة الاجتماعية. وتشير أنشطة تقاسم الاحتياجات البيولوجية الأساسية، مثل النوم وتناول الطعام، إلى شكل من أشكال إزالة الأنا القومية. في نطاق محدود مثل السفينة، يفرض هذا التداخل المكاني على الأفراد التواجد معًا (التواجد المشترك) وتشكيل نظام اجتماعي جديد معًا (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٧) .لم يعد يُنظر إلى الطرف الآخر على أنه غريب بعيد، بل كرفيق مؤقت في الحياة.

أصبحت أنشطة تقاسم المكان والطعام والشراب هذه ساحة تثبت فيها الرحلة حقيقتها بأنها ليست مجرد انتقال مادي، بل مواجهة حضارية (مواجها حضارية) تتطلب تفاعلًا حميميًا بين الذات (حبيب) و''الآخر'' (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧).

إن الشعور بالانتماء المشترك الذي ينشأ يزيل المسافات المجتمعية ويذيب الحدود الجغرافية، مما ييسر التفاهم بين الثقافات من خلال الملاحظة الإثنوغرافية التشاركية المباشرة (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٨).

على الرغم من حدوث اندماج اجتماعي، تظل الهوية الأصلية للفرد تظهر من خلال الرموز الثقافية، ولا سيما الطعام الذي يُحمل كزاد للسفر. يلاحظ حبيب كيف تعمل هذه الأطعمة كعلامات للهوية الإقليمية في الفضاء العام، كما يتضح في هذا الاقتباس:

''فالعنب والتين مع وفد فلسطين، و «الكبيبة الشامي» و«البسبوسة» لدى الأخ فؤاد كنعان ''... (حبيب، ٢٠١٥،ص. ١٤)

الطعام في هذا الاقتباس ليس مجرد غذاء، بل هو علامة ثقافية قوية. كل شخص يحمل ''قطعة من وطنه'' إلى مكان اللقاء. إن تبادل الأطعمة، مثل التين الفلسطيني مع الأطعمة التقليدية الأخرى، يدل على وجود حوار ثقافي يتم الاستمتاع به معًا. ويشكل هذا دليلًا ملموسًا على عملية التبادل الثقافي، أي كيفية قيام الأشخاص في الإتصال الثقافي بنقل العناصر المادية الثقافية التي يحملونها واختيارها وإعادة صياغتها (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٦؛ Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧).

تتجاوز كتابات الرحلات في هذه المرحلة مجرد وصف المساحات اللوجستية؛ فهي تسعى إلى اكتشاف الأسرار والمعاني الكامنة وراء الظواهر الظاهرة (خليل، ٢٠٠٥، ص. ٦). وتُظهر التفاصيل المتعلقة بالأطباق التقليدية التي أحضرتها كل وفد دقة الكاتب في تسجيل واقع تفاعل المجتمعات. هذه الملاحظات بالغة الأهمية لأنها تنجح

في الحفاظ على الصورة الحقيقية للمجتمعات وتنوعها، وهو ما غالبًا ما يغفل أو يُهمل في كتب التاريخ التقليدية (الندوي، ١٩٩٧، ص. ٦٣).

وصلت هذه اللقاءات الاجتماعية إلى أقصى درجات الحميمية عندما وصف الحبيب علاقته الشخصية مع زميله المسافر الذي التقى به عن قرب (في السرير المجاور) أثناء إقامته في مخيم سعدية:

''وتعرفت إلى جاري العلوي فإذا به يوناني تعلم في روسيا''...(حبيب، ٢٠١٥، ص. ٤٢)

توضح الجملة أعلاه أن الإتصال الثقافي قادرة على خلق مساحة للتعرف على الهوية بشكل عميق ومعقد للغاية. القرب المكاني الذي يوصف بمصطلح ''الجار العلوي'' (موضع النوم القريب) يسمح بتبادل قصص الحياة. إن شخصية اليوناني الذي يدرس في روسيا هذه تمثل موضوعًا عالميًا متنوعًا وتعد مثالًا حقيقيًا للإنسان الناتج عن اختلاط الثقافات المختلفة، أو بعبارة أخرى، نتاج التقاطع من الإتصال الثقافي أخرى (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧) .إن فضاء اللقاء الإمبراطوري هنا يدفع بشكل فعال الكيانات المنفصلة جغرافياً وتاريخياً إلى بناء علاقات فردية مستدامة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٨).

من خلال هذا التفاعل الحواري الوثيق للغاية، لم يعد حبيب ينظر إلى هوية الشخص بشكل جامد. يثبت هذا الفضاء الاجتماعي الشخصي أن الرحلة تعمل بالفعل كـ''عين الجغرافيا المبصرة'' (الرحلة عين الجغرافيا المبصرة) التي تستكشف بنشاط تفاصيل حياة موضوعها المستهدف (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٨). من خلال هذا

القرب الجسدي والاجتماعي، لا يضع المسافر نفسه كمجرد مراقب سلبي، بل كشخصية تتمتع بالحساسية اللازمة لاستكشاف تعقيدات التاريخ والرواية الفكرية لـ''الطرف الآخر'' بطريقة أكثر إنسانية وعمقاً (خليل، ٢٠٠٥، ص. ٦).

٤. اللقاء السلطات: التفاوض على السلطة والذاكرة التاريخية

الجزء الأخير من ديناميات «الإتصال الثقافي» التي تظهر في سرد حبيب، وهو «التقاء السلطات». ففي الإتصال الثقافي، لا تنبع السلطة دائمًا من منصب رسمي، بل يمكن أن تنشأ من الاعتراف المهني أو الفخر بالماضي. يتضمن هذا اللقاء صراعاً على الموقف التفاوضي بين الوافد والكيان المحلي. وقد تم تسجيل هذه الظاهرة بوضوح عندما تصادف حبيب مع السلطات في تركيا بشأن الاعتراف بمهنته:

''وأبى الأتراك أن يعترفوا للصحافيين بهذا الحق... إن الكل لديهم سواء في المعاملة''.(حبيب، ٢٠١٥، ص. ١١)

تشير هذه الاقتباسات إلى وجود صدام بين توقعات حبيب كصحفي ونظام القواعد في تركيا. هنا، تصبح الإتصال الثقافي ساحة للتفاوض على المواقف. بصفته صحفيًا من مصر، يحمل حبيب سلطة مهنية يأمل في الحصول على اعتراف خاص بها. ومع ذلك، عندما ترفض السلطات المحلية منح هذه الميزة بحجة المساواة في المعاملة، يحدث صراع مصالح واضح.

وهذا يثبت نظرية ماري لويز برات التي تقول إنه في الإتصال الثقافي، يتصارع الأطراف المتلاقون مع بعضهم البعض داخل فضاء اجتماعي تتسمه علاقات القوة (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٣٤). السلطة التي يتمتع بها الفرد في موطنه الأصلي لا تنطبق

دائمًا تلقائيًا في المكان الجديد، مما يجبر الفرد على الاستمرار في التفاوض من أجل الحصول على الاعتراف بموقعه أمام ''الطرف الآخر'' (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٧). هذا الحدث هو في الأساس تجسيد للمواجهة الحضارية (المواجهة الحضارية) التي تتطلب تعديل المواقف بين ''الذات'' و''الآخر'' في لقاء ثقافي (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧). في هذا السياق، غالبًا ما يقع كاتب الرحلة في فخ محاولة الحفاظ على هيمنة واقعه من خلال التسمية المهنية التي جلبها من وطنه (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣).

من ناحية أخرى، تظهر مواجهة السلطة أيضًا من خلال العلاقة مع التاريخ الذي يُبعث من جديد عبر الذاكرة. غالبًا ما يُستخدم الماضي كأداة لرفع مكانة الشخص في لقاء ما. ويتجلى ذلك عندما تحدث الحبيب مع حلاق في الفندق:

''والحلاق إلى جانب باب الفندق... وأبى أن يترك الموسى قبل أن يقول لي إنه كان مزين سمو الأمير أحمد أفندي''...(حبيب، ٢٠١٥،ص. ٣١)

تصف هذه الجملة كيف تُستخدم الذاكرة التاريخية لبناء سلطة شخصية في أعين الغرباء. استخدم الحلاق تاريخه الشخصي في خدمة النبلاء كاستراتيجية لبناء هوية أكثر احتراماً.

من منظور الإتصال الثقافي، هذه الذكرى ليست مجرد قصة قديمة، بل ممارسة خطابية تعمل ضمن علاقات القوة لتنظيم كيفية رؤية ''الطرف الآخر'' للذات (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٣). من خلال سرد الماضي، تحدث محاولة للتفاوض على معنى وموقف الذات حتى لا يُنظر إليها بازدراء من قبل الوافدين (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٦). إن

تحويل الصورة من مجرد خادم فندق إلى شخصية لها صلة وثيقة برموز السلطة في الماضي هو محاولة لاكتشاف ''السر وراء الأشياء'' واستكشاف المعنى الكامن وراء الظواهر التي تبدو بسيطة (خليل، ٢٠٠٥، ص. ٦). تضفي تلك الذكريات صدىً داخليًا وعمقًا عاطفيًا على التفاعلات التي تحدث، مما يجعل هذه المذكرات تنجح في الحفاظ على الصورة الحقيقية للمجتمع والشخصيات التي غالبًا ما تتجاهلها السرديات التاريخية الباردة (الندوي، ١٩٩٧، ص. ٦٤-٦٥). من خلال هذه الذكريات، يحدث حوار بين السلطات يجعل حبيب ينظر إلى ''الطرف الآخر'' من خلال المجد التاريخي الذي يحمله، مما يخلق إدراكاً للهوية أكثر إنسانية وعمقاً.

تؤكد النتائج المتعلقة بأبعاد اللقاء المختلفة في ''رحلة إكسبريس'' أن ديناميكيات الإتصال الثقافي في سرد توفيق حبيب تشترك في النوع والشكل والنمط مع ظاهرة اللقاء الثقافي في بعض الأبحاث السابقة. تتخذ هذه الأنماط المتشابهة شكل لقاءات جسدية في الأماكن العامة، ولقاءات لغوية، وتفاعلات اجتماعية مجتمعية تعكس وجود علاقات قوة وتوترات هوياتية في المناطق الحدودية (Mettinger، ٢٠٢١؛ ، ٢٠٢٢؛ Zaepffel، ٢٠٢٥). ومع ذلك، تم العثور في النتائج المذكورة أعلاه على نمط آخر يتمثل في لقاءات السلطات التي تنطوي على التفاوض بشأن الوضع المهني (الصحفيين) واستخدام الذاكرة التاريخية كاستراتيجية لتعزيز موقف المفاوض أمام الطرف الآخر. من ناحية أخرى، تم العثور على ممارسات تشير إلى عملية التبادل الثقافي، كما توضح النتائج أن عملية التبادل الثقافي تحدث دائمًا في الإتصال الثقافي كشكل من أشكال التكيف وإعادة اكتشاف العناصر الثقافية (Mettinger، ٢٠٢١؛Hoydis، ٢٠٢٢).

على الرغم من وجود أوجه تشابه في أنماط آليات التفاعل وتكييف الهوية، فإن هذه النتائج تختلف في جوهرها لأنها تضع الشخصية غير الغربية (العربية–المصرية) في دور الفاعل النشط، وليس مجرد موضوع للتأثير الأوروبي كما هو الحال في غالبية الدراسات السابقة. وبالتالي، تُظهر أشكال اللقاء الأربعة هذه أن الإتصال الثقافي في ''رحلة إكسبريس'' ليست مجرد مساحة للتنوع، بل هي أيضًا المكان الذي جمع فيه حبيب المواد لتكوين صورة عن تركيا والأطراف التي التقى بها. ومن تلك المساحات بدأت عملية الملاحظة والترتيب والتفسير، والتي استمرت بعد ذلك في ممارسة إنتاج المعرفة الاستعمارية.

ب. الإستراتيجيات إدعاء الحياد في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول"

بعد تحديد الأبعاد المختلفة للقاءات في الإتصال الثقافي، يركز هذا النقاش على الاستراتيجية السردية التي استخدمها توفيق حبيب في تصوير رحلته. يُعرّف برات «إدعاء الحياد» بأنها استراتيجية خطابية يلجأ إليها كاتب الرحلات لبناء سلطة سرده من خلال تقديم نفسه كفاعل يبدو محايدًا وغير مهيمن، وكأنه مجرد مراقب عادي. في كتاب ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول''، تظهر هذه الاستراتيجية من خلال عدة أشكال من التمثيل التي توضح كيف يصور حبيب نفسه كمسافر ''بسيط'' مع استمراره في التحكم في معنى العالم الذي يروي قصته، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال البيانات التالية:

مصفوفة البيانات إدعاء الحياد			
رقم	**الفئة**	**البيانات**	**الصفحة المرجعية**
١	**سرد الجهل**	"فكل ما سيراه القارئ خطرات وملاحظات عابر سبيل ليس فيها شيء من تحقيق علمي وتاريخي"...	ص.٧
٢		"الصحافي العجوز"	ص.٣٦
٣		"وأنا أبعد الناس عن فهم المسألة المالية..."	ص.٥١
٤	**سرد الجمالي**	"...فرأيت النظافة تامة والنظام شاملا والعمال يؤدون أعمالهم... فلم أحسدهم بل غبطتهم..."	ص.١٦

٥		"مشاهد لا تزيد ولا تنقص عما يمكنك أن تراه وأنت جالس في قاعة جوزي بالاس... أو غيرها من صالات السينما."	ص.١٨
٦	**المقارنة وتصنيف المناطق**	"فالأمريكي الذي يلف الدنيا، والإنكليزي الذي يتجول... لا يرى أكثر مما رأينا."	ص.١٨
٧		"والقسم الوطني منها ليس فيه شيء من مباهج القاهرة ولا أحيائها الوطنية العامرة..."	ص.٥٢
٨	**استراتيجية النقد**	"...فاشمأزت نفسي ولكنني عدت فتجلدت وماشيت الإخوان..."	ص.٣٠
٩		"ولكن هذه الملاحظات السطحية لا تمنعنا من المجاهرة بتقصير الأتراك في الإعلان عن بلادهم..."	ص.٥٢
١٠	**محاولة إنتاج المعرفة**	"أدلى إلي ببيانات عن الإصلاح الاجتماعي والعمراني، ومنه إنشاء عشر مدن في الأناضول..."	ص.٢٢
١١		"...وتعرفنا شيئًا من معاني الديموقراطية الحقيقية ومحبة الأهالي لحكامهم."	ص.٢٣

استنادًا إلى مصفوفة البيانات أعلاه، تم تحليل البيانات التي تم استخلاصها وتصنيفها في عدة فئات في الشرح التالي:

١.سرد الجهل

الاستراتيجية الأولى التي تميز موقف «إدعاء الحياد» في «رحلة إكسبريس» هي ظهور الحبيب كشخصية تبدو وكأنها لا تدعي العلم ولا تحمل أي أجندة استعبادية. تظهر هذه الاستراتيجية منذ البداية عندما كتب:

''فكل ما سيراه القارئ خطرات وملاحظات عابر سبيل ليس فيها شيء من تحقيق علمي وتاريخي...'' (حبيب، ٢٠١٥،ص. ٧)

ظاهريًا، يُظهر هذا الاقتباس أن حبيب يقلل بشكل صريح من أهمية كتاباته. فهو يؤكد أن ما يُقدم للقارئ ليس سوى ملاحظات موجزة لمسافر، وليس نتيجة دراسة أكاديمية أو تقريرًا تاريخيًا منهجيًا، مما يعطي انطباعًا بأنه لا ينوي السيطرة على العالم الذي يزوره.

يتوافق هذا الموقف مع استراتيجية ''إدعاء الحياد'' التي أوضحتها ماري لويز برات، حيث يسعى الفاعل البرجوازي إلى إظهار نفسه كشخصية ''بسيطة'' وغير مؤذية، في حين أنه من خلال هذا التواضع بالذات يبني شرعية سردية لمراقبة وتقييم تركيا (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩). وفقاً لتفسير برات، تجعل هذه الاستراتيجية الكاتب يبدو سلبياً، لكنه في الواقع يحافظ على سلطته التمثيلية على العالم الذي يرويه من أجل تعزيز الهيمنة بطريقة أكثر دقة (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٥٧). الاعتراف بأن هذا النص ليس سوى ''أفكار عابرة'' أو ''ملاحظات سطحية''هو وسيلة يستخدمها الكاتب لبناء سلطته حتى يتقبل القارئ السرد بسهولة أكبر باعتباره شهادة صادقة وموضوعية (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣). يبدو هذا النص العفوي وكأنه ''عين الجغرافيا التي ترى'' بشكل خالص، على الرغم من أنه في الواقع قد تم تأطيره منذ البداية من منظور المسافر (فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٨).

وتتعزز هذه الصورة عندما يصف حبيب نفسه بـ:

"الصحافي العجوز"(حبيب، ٢٠١٥، ص. ٣٦)

من الناحية النصية، تبدو هذه التسمية مجرد مؤشر على العمر والمهنة. لكن على مستوى أعمق، فإن وصف نفسه بـ ''الصحفي العجوز'' يخلق انطباعًا بأن حبيب شخصية هادئة، متجردة، وغير عدوانية. فهو يقدم نفسه كمراقب ناضج بما يكفي لكي لا يبدو مهددًا، لكنه لا يزال خبيرًا بما يكفي ليكون جديرًا بالثقة.

في إطار ''إدعاء الحياد''، هذه الطريقة مهمة لأن سلطة حبيب لا تُبنى من خلال ادعاءات صريحة بالتفوق، بل من خلال صورة التواضع (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٥٧). ومن هنا يمكن فهم أن ما يكتبه ليس صوت الفاتح، بل صوت الرحالة الذي ''يكتفي بالمشاهدة''، وهي استراتيجية تمثيلية لتأمين انطباع ''البراءة'' أثناء تأكيد وجهة نظره(Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩) .إن استخدام الهوية الذاتية الناضجة هذا يمنع ظهور الكاتب كأداة تسجيل باردة تفتقر إلى الصدى الداخلي، بل كمراقب يسعى لاكتشاف الأسرار الكامنة وراء الظواهر التي يواجهها (الندوي، ١٩٩٧، ص. ٦٤-٦٥؛ خليل، ٢٠٠٥، ص. ٦). بل إن حبيب، من خلال تلك الصورة بالذات، اكتسب السلطة ليصبح مركز التفسير بشأن تركيا والأطراف الأخرى التي يلتقي بها.

وتتضح استراتيجية الجهل هذه أكثر عندما يعترف حبيب قائلاً:

"وأنا أبعد الناس عن فهم المسألة المالية" (حبيب، ٢٠١٥، ص . ٥١)

إذا نظرنا إلى هذا الاقتباس بشكل سطحي، فإنه يظهر اعتراف حبيب بأنه لا يفهم الشؤون المالية. فهو يضع نفسه في موقع الشخص الخارجي فيما يتعلق بالمسألة الفنية قيد النقاش. أما في المستوى الثاني، فإن هذا الاعتراف يجعل حبيب يبدو غير متدخل

في شؤون معقدة وحساسة، وبذلك يبقى صورته آمنة كمسافر لا يتدخل في الشؤون المحلية.

في إطار ''إدعاء الحياد''، يعمل هذا الموقف كاستراتيجية لتقديم الذات كمراقب محايد يكتفي بـ''النظر'' دون التدخل في الواقع (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٣٤). لكن من هذا الاعتراف بـ''عدم المعرفة'' تنشأ سلطة جديدة، حيث يضع الكاتب نفسه في موقع الفاعل المحايد والمتحضر الذي يكتفي بتقديم تقرير عما هو موجود. إن وضع نفسه كشخصية ''بلا مصلحة'' هو تكتيك خفي يستخدمه الكاتب لبناء سلطة في وصف وتقييم العالم الذي يزوره. يظل حبيب هو الطرف الذي يصوغ القصة ويحدد الطريقة التي يُفهم بها القارئ تلك المنطقة من خلال ادعاء الحياد هذا.

إن سرد الجهل في ''رحلة إكسبريس'' ليس علامة على عجز الكاتب، بل هو استراتيجية خطابية مناهضة للغزو لبناء سلطة بطريقة خفية (Pratt، ١٩٩٢؛ Pratt، ٢٠٠٨). يظهر الكاتب كمسافر متواضع، غير علمي، وغير ملم بالأمور الفنية، ولكنه من خلال تلك الصورة يحصل على مكانة الراوي الشرعي لوصف تركيا.

٢.سرد الجمالي

تتجلى الاستراتيجية التالية في «إدعاء الحياد» في الطريقة التي يقيّم بها حبيب تركيا من خلال تجربة بصرية جمالية. ويتضح ذلك عندما يكتب:

"...فرأيت النظافة تامة والنظام شاملاً والعمال يؤدون أعمالهم... فلم أحسدهم بل غبطتهم..." (حبيب، ٢٠١٥،ص. ١٦)

يبدو أن حبيب لم يكتفِ بتسجيل الحالة المادية الموجودة أمامه، بل أعطى تقييمًا مباشرًا بأن النظافة والنظام هما أمران يستحقان التسجيل والإعجاب. وضع حبيب نفسه في موقع المراقب الذي يحق له تحديد ما إذا كان المكان يستحق الإعجاب أم لا، كما ابتعد عن الانخراط المباشر في الحياة الاجتماعية تلك.

تتوافق هذه النظرة مع مفهوم ''إدعاء الحياد''، حيث يظهر الكاتب وكأنه يستمتع فقط بجمال الطبيعة والتقدم الذي يراه، في حين أنه في الوقت نفسه يبني سلطة سردية على موضوع ملاحظته. إن الصورة التي تُقدم عن تركيا باعتبارها مكانًا منظمًا ونظيفًا ومتقدمًا، تظل في النهاية محصورة ضمن المعايير الجمالية وتقييم حبيب نفسه، مما يخفي الاستغلال والهيمنة في التمثيل وراء خطاب التعاطف أو الإعجاب الذي يبدو موضوعيًا (Pratt، ١٩٩٢). هذا النوع من الملاحظة البصرية يؤكد جوهر الرحلة باعتباره ''عين الجغرافيا التي ترى'' التي تقوم بشكل نشط باختيار وتقييم المكان الذي تزوره (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ١٨). من خلال وصف الجمال الذي يُزعم أنه تقرير بريء، يقع الكاتب في الأساس في فخ محاولة السيطرة على واقع المجتمع الذي يزوره ليقوم بعد ذلك بتفسير معناه (فاهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣).

يصبح هذا المنظور الجمالي أكثر وضوحًا عندما يصف المشاهد التي يراها وكأنها عرض ترفيهي:

...''مشاهد لا تزيد ولا تنقص عما يمكنك أن تراه وأنت جالس في قاعة جوزي بالاس... أو غيرها من صالات السينما"(حبيب، ٢٠١٥، ص. ١٨)

من الناحية النصية، يُظهر هذا الاقتباس أن حبيب يُشبه تجربة رؤية الواقع التركي بمشاهدة عرض داخل السينما. يضع حبيب نفسه في موقع المشاهد البحت الذي يجلس بهدوء ويراقب من مسافة آمنة، وليس كمشارك منغمس ويتفاعل مباشرة مع نبض الحياة التي يشاهدها.

هذه الاستعارة هي مظهر قوي من مظاهر استراتيجية ''إدعاء الحياد''، حيث يبدو المسافر وكأنه يكتفي بإعجاب بالمناظر، في حين أنه في الوقت نفسه يحول المنطقة التي يزورها وأهلها إلى كائنات بصرية سلبية وجاهزة للاستهلاك (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩). من خلال تشبيه السينما هذا، ينجح الكاتب في الظهور بمظهر محايد وغير مهيمن، لكنه في الواقع يحافظ على سلطة تمثيلية كاملة على العالم الذي يصوره(Pratt, ٢٠٠٨، ص. ٢٠) . إن وضع نفسه في مكانة المشاهد يحول مذكرات الرحلة وكأنها أداة تسجيل أو ''كاميرا'' تقدم وصفًا للمناظر، حيث يتم وضع الطرف الآخر في مكانة مجرد كائن للمشاهدة دون أي تفاعل متكافئ(الندوي، ١٩٩٧، ص.٦٤-٦٥). في النهاية، لا تعد تركيا أكثر من مجرد منظر طبيعي جميل يستحق الاستمتاع به، حيث يتم تنظيم معناه بالكامل ويخضع لسيطرة نظرة المسافر.

٣.المقارنة وتصنيف المناطق

الاستراتيجية الثالثة في ''إدعاء الحياد'' هي عادة حبيب في مقارنة وتصنيف المناطق التي يزورها. ويظهر ذلك عندما يكتب:

...''فالأمريكي الذي يلف الدنيا، والإنكليزي الذي يتجول... لا يرى أكثر مما رأيت''. (حبيب، ٢٠١٥،ص. ١٨)

بشكل واضح، تشير هذه الجملة إلى أن حبيب يقارن قدرته على الرؤية بمراقبين من الغرب. يضع حبيب نفسه في موقع المتساوي، بل إنه يشعر أن نظرته لا تقل حدة عن نظرة الأمريكي أو الإنجليزي المعروفين بكونهما مسافرين حول العالم.

تعكس هذه الجملة استراتيجية مكافحة الاستعمار بشكل كبير، لأن حبيب لا يظهر هيمنته بشكل فظ، بل يبني سلطته من خلال ادعاء خفي بأن وجهة نظره صحيحة وجديرة بالثقة. إن الثقة في أن لديه قدرة عالمية على قراءة العالم تجعل سرده يبدو محايداً وموضوعياً، في حين أنه في الحقيقة لا يزال يتشكل من خلال موقع المراقب الذي بنى لنفسه لتأكيد وجوده (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩). من خلال ادعاء المساواة في الملاحظة هذا، تثبت الرحلة حقيقتها باعتبارها ساحة مواجهة حضارية ترفض فيها الهوية الذاتية الخضوع لهيمنة سرد المستكشف الغربي (فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧). يقع المسافر دون وعي في فخ محاولة السيطرة على الواقع من خلال وصف الملاحظة التي يدعي أنها متساوية أو حتى أكثر شمولية من الأمم الأخرى (فهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣).

علاوة على ذلك، تزداد قوة استراتيجية المقارنة هذه عندما يجعل حبيب القاهرة معيارًا مطلقًا لتقييم المناطق الأخرى:

...''والقسم الوطني منها ليس فيه شيء من مباهج القاهرة ولا أحيائها الوطنية العامرة''...(حبيب، ٢٠١٥، ص. ٥٢)

في الجملة أعلاه، لا ينظر حبيب إلى تركيا كفضاء قائم بذاته، بل يقيّمها دائمًا من منظور منطقته الأصلية. تُوضع القاهرة كنقطة مقارنة، بينما تُوضع تركيا كمنطقة يجب اختبار قيمتها وقياسها وفقًا لتلك المعايير.

هذه النظرة هي شكل ملموس من أشكال السيطرة الرمزية على مساحة الطرف الآخر من خلال التصنيف والمقارنة وترتيب قيم المعرفة (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٣١) . وباستخدام معايير منطقته الخاصة لتفسير العالم الذي يزوره، يضع الكاتب الطرف الآخر بشكل خفي ككائن يجب تقييمه، بينما يصبح هو الفاعل المطلق الذي يحدد المعنى (Pratt، ١٩٩٢). ويُظهر هذا التقييم المقارن وجود خلل في توازن مساحة اللقاء التي تكون دائماً مشحونة بتجاذب المصالح. يستخدم الكاتب موقعه الأقوى لوصف وتقييم وتصنيف المجتمع والفضاء المادي الذي يزوره، وهو ما يتأثر بشدة بمشاعره العاطفية ومواقفه الأيديولوجية تجاه مدينته الأم (الندوي، ١٩٩٧، ص. ٦٤-٦٥ ؛فهيم، ١٩٨٩).

٤. استراتيجية النقد

الاستراتيجية التالية المضادة للغزو هي النقد. يدرج حبيب انتقادات للواقع الذي يواجهه، لكنه يظل يغلفها بصورة المراقب الهادئ كما يتجلى في الجملة:

...''فاشمأزت نفسي ولكنني عدت فتجلدت وماشيت الإخوان''...(حبيب، ٢٠١٥، ص. ٣٠)

في هذه الجملة، يبدو نصياً أن حبيب يشعر بعدم الارتياح أو الاشمئزاز تجاه شيء رآه خلال الرحلة. إنه يشعر بوعيه أنه قادر على التحكم في رد فعله الشخصي ويختار

كبح جماح نفسه، ويبقى حاضراً مع المجموعة كفرد يتحكم في عواطفه، بحيث لا يظهر كمهاجم صريح.

لم تكن الانتقادات الموجهة هجوماً مباشراً، بل كانت تقييماً أخلاقياً مغلفاً بصورة المراقب المتحفظ والرصين. وهنا تكمن استراتيجية ''إدعاء الحياد''، حيث يحافظ الكاتب على ''براءته'' من خلال الظهور بمظهر سلبي ومتحفظ، في حين أنه في الواقع يؤكد هيمنته التقييمية على المكان الذي يراه (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٩). يُغلف هذا الهيمنة بانطباع اللطف حتى لا يبدو مهدداً (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٥٧). هذا التحكم في العواطف هو في جوهره مظهر من مظاهر الصدام الحضاري حيث يسعى المسافر إلى تهدئة صدمته الثقافية حتى تُقبل انتقاداته كملاحظات معقولة(فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٧) .تسجل كتابات الرحلات في هذه المرحلة الاضطرابات الداخلية والمواقف الأيديولوجية لمؤلفها بقوة، مما يدل على أنه ليس ''كاميرا تسجيل'' صامتة، بل هو فاعل نشط ينتقي ويقيّم ويصدر أحكامًا أخلاقية على الظواهر التي أمامه (الندوي، ١٩٩٧، ص. ٦٤-٦٥).

يبدو الميل إلى النقد من وراء ستار التواضع هذا أكثر وضوحًا في الجملة التالية:

...''ولكن هذه الملاحظات السطحية لا تمنعنا من المجاهرة بتقصير الأتراك في''...(حبيب، ٢٠١٥، ص. ٥٢)

بشكل صريح، يعترف حبيب بأن ملاحظاته سطحية. ومع ذلك، فمن موقعه كمسافر ''سطحي'' هذا، يشعر أنه يحق له التحدث بصراحة وصدق عن عيوب الطرف الذي يراقبه.

هذا الاعتراف المتواضع هو بوضوح مدخل لاستراتيجية ''إدعاء الحياد'' لتوجيه النقد دون أن يبدو ذلك عدوانياً. من خلال الادعاء بأن نشاطه مجرد ملاحظة غير متعمقة، تظل سلطة السرد في يد الكاتب(Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٢٠) .يقدم الكاتب نفسه وكأنه يقوم فقط بنشاط ''غير ضار'' و''بلا مصلحة''، في حين أنه من خلال كتاباته يشارك في تحديد كيفية تقييم وفهم القارئ لتلك المساحة والمجتمع (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٢٠ و ٥٦) .إن استخدام بلاغة التواضع من خلال مصطلح ''ملاحظات سطحية'' يعمل تاريخياً على إخفاء محاولة الكاتب للسيطرة على الواقع من خلال وصف يبدو موضوعياً (فهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣) في حين أن الكاتب، من وراء الاعتراف بعدم معرفته، يسعى إلى استكشاف الأسرار والمعاني الكامنة وراء نمط حياة الطرف الآخر، ويضعهم في موقع كائنات تستحق تقييمه (خليل، ٢٠٠٥، ص. ٦).

٥.محاولة المعرفة الاستعمارية

تتجلى الاستراتيجية الأخيرة في مقاومة الاستعمار في الطريقة التي يحول بها حبيب المعلومات التي حصل عليها خلال رحلته إلى معرفة تبدو موضوعية وقابلة للقياس. ويتضح ذلك عندما يكتب:

...''أدلى إلي ببيانات عن الإصلاح الاجتماعي والعمراني، ومنه إنشاء عشر مدن في الأناضول''...(حبيب، ٢٠١٥، ص. ٢٢)

تشير هذه الاقتباس إلى أن حبيب لم يتوقف عند مرحلة الاستماع أو مجرد تلقي القصص من الآخرين. فقد قام بتحويل المعلومات الشفوية التي تلقّاها مباشرة إلى بيانات منظمة ومحددة وتبدو واقعية. ويُعطي ذكر الرقم ''عشر مدن'' انطباعًا بأن

سرد حبيب يقوم على أساس تجريبي قوي وليس مجرد انطباعات شخصية لمسافر. هنا، يضع حبيب نفسه في موقع جامع المعرفة القادر على تنظيم الواقع في شكل يمكن للقارئ فهمه بشكل أفضل.

في إطار ''إدعاء الحياد''، تظهر هذه الطريقة كيف يبدو الكاتب وكأنه يكتفي بتدوين البيانات والإبلاغ عنها، في حين أنه من خلال هذا الموقف الذي يبدو محايداً، يظل يبني سلطة سردية على الواقع الذي يراه (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٢٠). من خلال الكتابة، تُحوَّل تجربة المسافر الفردية إلى معرفة تُعتبر صحيحة عن منطقة ما، حيث تعمل الرحلة كـ''عين جغرافية ترى'' بشكل موضوعي(فهيم، ١٩٨٩، ص. ١٨) . إن ادعاء الموضوعية والحياد في عرض هذه البيانات الإحصائية هو استراتيجية خفية من الكاتب للسيطرة على الواقع؛ وصف يُدعى أنه الحقيقة المطلقة، في حين أنه يحدد الطريقة التي يُفهم بها القارئ تلك المنطقة (فهيم، ١٩٨٩، ص. ٤٣؛ Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٢٠).

يبدو الميل إلى إضفاء الطابع الموضوعي على هذه التجربة أكثر وضوحًا عندما يبدأ في تقديم استنتاجات نظرية:

...''وتعرفنا شيئًا من معاني الديمقراطية الحقيقية ومحبة الأهالي لحكامهم''...(حبيب، ٢٠١٥، ص. ٢٣)

تُظهر هذه الجملة أن حبيب لم يكتفِ بمراقبة التغيرات المادية أو الإنجازات الإنشائية فحسب، بل دخل أيضًا في مجال التفسير السياسي. فهو لم يترك تلك التجربة لتبقى مجرد معلومات أولية، بل قام على الفور بتصنيفها من خلال عبارة الديمقراطية الحقيقية.

وبذلك، وضع حبيب نفسه في موقع الطرف الذي يحق له تفسير معنى النظام السياسي الذي يراه. لم تعد تركيا بعد ذلك تظهر كفضاء يتحدث بصوته الخاص، بل ككائن يتم تفسيره وفهمه بالكامل من خلال إطار تفكير الراوي. يتوافق هذا الأسلوب مع ''الامتلاك البريء(Innocent Possession) ''، أي السيطرة الرمزية على العالم الذي يتم زيارته من خلال لغة الحقائق والتصنيفات والتفسيرات التي تبدو موضوعية (Pratt، ٢٠٠٨، ص. ٣١-٣٣). يضع المسافر نفسه في موقف وكأنه يكتفي بالمشاهدة والإعجاب، في حين أنه يعيد تشكيل الواقع السياسي للطرف الآخر ليتوافق مع تفسيره الشخصي دون أن يبدو متورطاً بشكل مباشر في علاقات القوة (خليل، ٢٠٠٥، ص. ٩). ثم تظهر المنطقة المكتوبة ككيان تم التعرف عليه وقياسه وتعريفه بشكل أحادي الجانب.

وتعزز النتائج المتعلقة باستراتيجية إدعاء الحياد في نصفي النص الرحلي(TRAVELOGUE) رحلة إكسبرس الإطار النظري الذي بنته الأبحاث السابقة، وتُظهر في الوقت نفسه أن مفهوم ماري لويز برات يمكن قراءته بما يتجاوز الموضوع الغربي. يتوافق استخدام حبيب لخطاب الجهل مع النتائج المتعلقة بتناقض الخطاب الاستعماري، أي عندما يبدو الكاتب بريئًا لكنه يحافظ على السيطرة على السرد (Branach-Kallas، ٢٠٢٢). في الوقت نفسه، يتوافق موقف حبيب الذي يضع نفسه كشخصية متفوقة أخلاقياً عند انتقاد تركيا مع نتائج الأبحاث حول بناء الراوي المهيمن (Zaepffel، ٢٠٢٥) .بالإضافة إلى ذلك، فإن مساعي حبيب لإنتاج المعرفة من خلال

بيانات التنمية تعزز الحجة حول استمرار المنظور المهيمن في رسم خريطة العالم من خلال كتابات الرحلات (Wieczorkiewicz، ٢٠٢٢).

ومع ذلك، فإن ما يميز هذا البحث هو موقع حبيب كفاعل غير غربي، وهو ما يختلف عن التركيز على الفاعل الأوروبي (Mettinger، ٢٠٢١) أو القراءات الاستعمارية (Shikha&Ranjan، ٢٠٢٢) .ومن هنا، تُظهر النتائج المذكورة أعلاه أن آلية ''العين الإمبريالية'' يمكن أن يتبناها المثقفون العرب عبر الثقافات لتعريف تقدم الطرف الآخر. وبالتالي، فإن هذا البحث يسد الفجوة المفاهيمية التي لا تزال مفتوحة بشأن مرونة الموضوع في دراسات الحدود والإمبريالية كما هو مقترح (Park، ٢٠٢٢) .

ج. تشكيل إنتاج المعرفة الاستعمارية في النص الرحلي(TRAVELOGUE) "رحلة إكسبرس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول"

تتجلى ممارسات إنتاج المعرفة الاستعمارية في «رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول» عندما لا يكتفي حبيب بسرد الرحلة فحسب، بل يحوّل التجارب التي يمر بها إلى معرفة تبدو موضوعية عن تركيا. يمكن الاطلاع على أشكال المعرفة هذه في الجدول أدناه.

مصفوفة البيانات إنتاج المعرفة الاستعمارية			
رقم	**الفئة**	**البيانات**	**الصفحة المرجعية**
١		" فرأيت النظافة تامة والنظام شاملاً والعمال يؤدون أعمالهم... فلم أحسدهم بل غبطتهم"...	ص.١٦

٢	**الملاحظة الأحادية الجانب**	" مشاهد لا تزيد ولا تنقص عما يمكنك أن تراه وأنت جالس في قاعة جوزي بالاس... أو غيرها من صالات السينما."	ص. ١٨
٣	**المقارنة والتصنيف**	"فالأمريكي الذي يلف الدنيا، والإنكليزي الذي يتجول... لا يرى أكثر مما رأينا..."	ص.١٨
٤		"القسم الوطني منها ليس فيه شيء من مباهج القاهرة ولا أحيائها الوطنية العامرة"	ص.٥٢
٥	**إسكات الأصوات المحلية**	"أدلى إلي ببيانات عن الإصلاح الاجتماعي والعمراني، ومنه إنشاء عشر مدن في الأناضول..."	ص.٢٢
٦		"وتعرفنا شيئًا من معاني الديموقراطية الحقيقية ومحبة الأهالي لحكامهم"	ص.٢٣

وقد بدأ هذا المسار منذ بداية السرد عندما قدم حبيب نفسه على أنه مسافر عابر وليس باحثًا يجري دراسة علمية. ويتجلى ذلك بوضوح في العبارة التالية :

"خطرات وملاحظات عابر سبيل ليس فيها شيء من تحقيق علمي وتاريخي"

(حبيب، ٢٠١٥،ص. ٧)

ويؤكد أن ما سيقرأه القارئ ليس سوى أفكار وملاحظات مسافر لا تتضمن دراسة علمية أو تاريخية. بل إنه يصف نفسه أيضًا بـ "الصحافي العجوز" ويعترف:

"وأنا أبعد الناس عن فهم المسألة المالية،" (حبيب، ٢٠١٥، ص .٥١)

مما يدل على أنه يبني صورة لنفسه كمراقب بسيط، وليس كخبير ذي سلطة. في إطار كتاب «عيون االإمبريالية» لماري لويز برات، يتماشى هذا الموقف مع استراتيجية «إدعاء الحياد» و«الرؤية البريئة»، أي محاولة إظهار الذات ككائن بريء ومحايد وغير

مهيمن، في حين أنه من هذا الموقف بالذات يبدأ في السيطرة على معاني العالم الذي يراه (Pratt، ١٩٩٢).

ثم تحولت تلك الصورة المتواضعة إلى:

١. ملاحظة أحادية الجانب ومهيمنة للغاية

عندما يصف حبيب تركيا، فإنه لا يدع المكان والأشخاص فيه يتحدثون بصوتهم الخاص، بل يضع نفسه في مركز النظر. ويتجلى ذلك عندما يكتب:

"فرأيت النظافة تامة والنظام شاملاً والعمال يؤدون أعمالهم... فلم أحسدهم بل غبطتهم" (حبيب، ٢٠١٥،ص. ١٦)

مما يظهر أنه كان يقيّم النظام والنظافة كأهداف لنظرته. كما قارن المشاهد التي رآها بمساحات العرض الحديثة:

"مشاهد لا تزيد ولا تنقص عما يمكنك أن تراه وأنت جالس في قاعة جوزي بالاس... أو غيرها من صالات السينما " (حبيب، ٢٠١٥، ص. ١٨)

وبهذه الطريقة، لم تعد تركيا حاضرة كفضاء اجتماعي حي، بل كمشهد يمكن النظر إليه كأنه مشهد من فيلم. هذه هي سمة "الرجل الناظر" (Seeing-man) حسب تعريف برات، حيث يصبح المسافر هو الفاعل الذي ينظر، بينما يصبح العالم الذي يُنظر إليه موضوعًا بصريًا ساكنًا ومنظمًا وفقًا لإطاره البصري الخاص (Pratt، ١٩٩٢؛ Pratt، ٢٠٠٨).

٢. المقارنة والتصنيف

كما تظهر ممارسة إنتاج المعرفة الاستعمارية بقوة من خلال عادة حبيب في مقارنة وترتيب الأماكن التي يزورها. يكتب:

"فالأمريكي الذي يلف الدنيا، والإنكليزي الذي يتجول... لا يرى أكثر مما رأينا،" (حبيب، ٢٠١٥، ص. ١٨)

مما يدل على أنه لا يكتفي بمراقبة العالم فحسب، بل يضع المراقبين الآخرين أيضًا في تسلسل هرمي معين للتقييم. وفي جزء آخر، يذكر أن:

"القسم الوطني منها ليس فيه شيء من مباهج القاهرة ولا أحيائها الوطنية العامرة" (حبيب، ٢٠١٥، ص. ٥٢)

وبالتالي تُفهم تركيا من خلال معيار مقارنة من القاهرة. هنا، لا تعمل المعرفة الاستعمارية بمجرد النظر فحسب، بل أيضًا من خلال تحديد أيها أكثر فخامة، وأيها أقل، وأيها يستحق أن يُسمى حديثًا، وأيها غير كافٍ. وفقًا لبرات، ترتبط هذه الطريقة بـ«الوعي الكوكبي»، أي الرغبة في ترتيب العالم ورسم خرائطه من منظور الذات التي تشعر بأنها تملك الحق في تقييم الحضارات الأخرى (Pratt، ٢٠٠٨). ونتيجة لذلك، تُصوَّر تركيا على أنها فضاء يُقاس بمعايير خارجية، لا يُفهم من خلال إطاره الخاص.

٣. إسكات الأصوات المحلية

الآلية التالية هي كيفية كتم الأصوات المحلية أو منحها مساحة فقط كمواد خام للراوي. صحيح أن حبيب يتلقى معلومات من شخصيات أو أشخاص أتراك، لكن هذه المعلومات تُعالج على الفور لتصبح سردًا يدعم استنتاجاته الخاصة. ويظهر هذا في الجمل التالية:

"أدلى إلي ببيانات عن الإصلاح الاجتماعي والعمراني، ومنه إنشاء عشر مدن في الأناضول..." (حبيب، ٢٠١٥، ص. ٢٢)

"وتعرفنا شيئًا من معاني الديموقراطية الحقيقية ومحبة الأهالي لحكامهم." (حبيب، ٢٠١٥، ص. ٢٣)

لم تُترك البيانات والتصريحات الصادرة عن الجانب التركي لتقف كصوت مستقل، بل تمت معالجتها لتصبح معرفة عن التقدم والإصلاح والديمقراطية التي صاغها حبيب. وبالتالي، لم يكن هناك حوار متكافئ بين الكاتب والمجتمع المحلي، بل معرفة تمت تصفيتها من خلال سلطة الراوي. وفقًا لتعريف برات، هذه هي شكل ''الاستحواذ البريء''، أي أن الأراضي والمجتمع ''يُستحوذ عليهما'' رمزيًا من خلال الكلمات والكتالوجات والتفسيرات، دون غزو مادي، ولكن مع الاحتفاظ بالسلطة لتعريف المعنى (Pratt، ١٩٩٢، ص. ٣١-٣٣).

الفصل الخامس

الخاتمة

أ. الخلاصة

بناءً على سلسلة عمليات البحث والتحديد وتحليل البيانات المتعلقة بقصة رحلة ''رحلة إكسبريس من الإسكندرية وإستامبول مع المستر أتول''، فنتيجة هذا البحث ما يلي:

١. تتجلى ديناميكيات ''الإتصال الثقافي'' في سرد توفيق حبيب من خلال أربعة أبعاد للقاء، وهي اللقاء الجسدي واللغوي والاجتماعي والسلطوي

٢. يطبق حبيب استراتيجية ''مكافحة الاستعمار'' من خلال خمس تكتيكات سردية، وهي: سرد الجهل، والسرد الجمالي، ومقارنة المناطق، واستراتيجية النقد، ومحاولة إنتاج المعرفة.

٣. ممارسة إنتاج المعرفة الاستعمارية في هذا النص هي النتيجة النهائية للتقاطع بين الإتصال الثقافي واستراتيجية مكافحة الغزو. المعرفة الاستعمارية التي تشكلت هي صورة تركيا باعتبارها ''مناظر طبيعية بلا موضوع'' أو كائن ميت سلبي. مارس حبيب ممارسة ''الفراغ الاجتماعي (*Social Vacuity*) ''من خلال تقليل صوت السكان المحليين إلى أدنى حد واستبداله بتقييم أحادي الجانب بشأن النظام المادي والبيانات الإحصائية للتنمية. ونتيجة لذلك، لم تُصوَّر تركيا كذات سيادة سردية، بل كـ''دولة مشروع'' تم تأطيرها وترويضها بواسطة سلطة ''العين االإمبريالية'' للمسافر حبيب.

ب.توصيات البحث

يُوصى بأن تولي الأبحاث اللاحقة اهتماماً أعمق لتطبيق مفهومي الترانس–ثقافة والأوتو–إثنوغرافيا في إطار الإتصال الثقافي. وهذا أمر مهم لتتبع وجود أصوات الفاعلين المحليين وأشكال التفاوض على الهوية التي قد تكون مخفية وراء هيمنة سرد المسافر. من خلال التركيز على هذين المفهومين، يمكن للدراسات المستقبلية أن تقدم قراءة أكثر توازناً لا تقتصر فقط على تحديد استراتيجيات مقاومة الاستعمار، بل تكون قادرة أيضاً على الكشف عن إمكانية وجود سرد مضاد (*Counter-narrative*) أو تمثيل بديل لممارسات إنتاج المعرفة ذات الطابع الهرمي.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر

حبيب, ت.(٢٠١٥) .*رحلة إكسبرس من إسكندرية وإستامبول مع المستر أتول* . هندوي/https://www.hindawi.org/books/٢٩٢٦٠٤١٧/ .

ب. المراجع العربية

الندوي, أ. ا. غ. ا.(١٩٩٧) .*نظرات في الأدب* (الثاني). دار البشير.

جيدنز, أ.(١٩٧١) .*الرأسمالية والنظرية الإجتماعية الحديثة*)أ. ي. شيش .مطبعة جامعة كامبريدج.

خليل, ع. ا.(٢٠٠٥) .*من أدب الرحلات* .دار ابن كثير.

فهيم, ح. م.(١٩٨٩) .*أدب الرحلات* .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ج. المراجع الأجنبية

Adams, P. G. (١٩٨٣). *Travel Literature and the Evolution of the Novel*. The University Press of Kentucky.

Bertens, H. (٢٠٠١). Literary Theory: The Basics. ROUTLEDGE: Taylor and Francis Group.

Bianchi, P. D. (٢٠٢٥). Territoriality, visionaries, and nomadic citizenships in Vagos sin tierra by Renée Ferrer and Las Marías de los Toldos by Aurora Venturini. Estudios de Teoría Literaria - Revista Digital: Artes, Letras y Humanidades,

١٤(artes, humanidades), ١٠–٢١. https://fh.mdp.edu.ar/revistas/index.php/etl/article/view/٨٨٢٥/pdf_١

Branach-Kallas, A. (٢٠٢٢). Implicated in Entangled Stories: Colonial Encounters, Immigration and the Representation of East Africa in Desertion by Abdulrazak Gurnah. Zagadnienia Rodzajów Literackich, ٦٥(١). https://doi.org/١٠,٢٦٤٨٥/zrl/٢٠٢٢/٦٥,١/٣

Guelke, L., & Guelke, J. K. (٢٠٠٤). Imperial eyes on South Africa: reassessing travel narratives. Journal of Historical Geography, ٣٠(١), ١١–٣١. https://doi.org/١٠,١٠١٦/S٠٣٠٥-٧٤٨٨(٠٣)٠٠٠٢٩-X

Hall, S. (١٩٩٠). Cultural Identity and Diaspora. In Selected Writings on Race and Difference (pp. ٢٥٧–٢٧١). Duke University Press. https://doi.org/١٠,١٢١٥/٩٧٨١٤٧٨٠٢١٢٢٣-٠١٦

Hoydis, J. (٢٠٢٢). Hamlet Revision: Bhardwaj's Haider as Crossmapping and Contact Zone . Adaptation, ١٥(١), ٢٢–٣٧. https://doi.org/١٠,١٠٩٣/adaptation/apaa٠٣٥

Mettinger, E. (٢٠٢١). A European Contact Zone: Portugal and Britain in Marianne Baillie's Lisbon in the Years ١٨٢١, ١٨٢٢, and ١٨٢٣. Victoriographies, ١١(١), ١–١٩. https://doi.org/١٠,٣٣٦٦/vic.٢٠٢١,٠٤٠٦

Miles, M. B., Huberman, A. M., & Saldana, J. (٢٠١٤). Qualitative Data Analysis A Methods Sourcebook. SAGE.

Netton, I. R. (١٩٩٣). Golden Roads: Migration, Pilgrimage and Travel in Mediaeval and Modern Islam (I. R. Netton, Ed.). Curzon Press.

Park, J. (٢٠٢٢). Putting Mary Louise Pratt's Imperial Eyes in Its Right Place in Imperialism Studies. Institute of History and Culture Hankuk University of Foreign Studies, ٨٢, ٢٤٧–٢٨٤. https://doi.org/١٠,١٨٣٤٧/hufshis.٢٠٢٢,٨٢,٢٤٧

Pratama, D. P. (٢٠٢٥). Sejarah Alternatif Era Sengoku: Narasi Keagamaan Klan Otomo dan Ikko-Ikki dalam Video Game Total War: Shogun ٢ [Skripsi, Universitas Nasional]. https://repository.unas.ac.id/id/eprint/١٢٨٩٨/١/Cover.pdf

Pratt, M. L. (١٩٩٤). Transculturation and Autoethnography: Peru, ١٦١٥/١٩٨٠. In F. Barker, P. Hulme, & M. Iverson (Eds.), Colonial Discourse/ Postcolonial Theory (pp. ٢٤–٤٦). Manchester University Press. http://books.google.com/books?hl=en&lr=&id=٠TG٨AAAAIAAJ&pgis=١

Pratt, M. L. (٢٠٠٠). INTRODUCTION: Criticism in the Contact Zone. In Postcolonialism: Critical concepts in literary and cultural studies Volume V (pp. ١٩٢٠–١٩٢٨). Taylor and Francis. https://doi.org/١٠,٤٣٢٤/٩٧٨١٠٠٣١٠١٤٤٤-١٢

Pratt, M. L. (٢٠٠٨). Imperial Eyes: Travel Writing and Transculturation, Second Edition (Second). Routledge Taylor and Francis Group.

Pratt, M. L. (٢٠١٤). Arts of the Contact Zone. http://www.jstor.org/stable/٢٥٥٩٥٤٦٩

Pratt, M. L. (٢٠٢٢). Planetary Longings. Duke University Press.

Schorch, P. (٢٠١٥). Contact Zones, Third Spaces, and the Act of Interpretation. Museum & Society, ١١(١), ٦٨–٨١. https://doi.org/١٠,٢٩٣١١/mas.v١١i١,٢٢٣

Shikha, M., & Ranjan, R. (٢٠٢٢). Representation of India in Travel Writings by Latin American Women in the ٢٠th Century. Rupkatha Journal on Interdisciplinary Studies in Humanities, ١٤(٣). https://doi.org/١٠,٢١٦٥٩/rupkatha.v١٤n٣,٠٨

Thompson, C. (٢٠١١). Travel Writing. Routledge Taylor & Francis Group.

Wieczorkiewicz, A. (٢٠٢٢). Colonial Seduction in the Era of the Polish People's Republic. A Contribution to the Problem of Travel Writing. Czas Kultury, (Polish), ١٠٨–١١٩.

Youngs, T. (٢٠١١). The Cambridge introduction to travel writing. In The Cambridge Introduction to Travel Writing (pp. ١٦٣–١٧٦). Cambridge University Press. https://doi.org/١٠,١٠١٧/CBO٩٧٨٠٥١١٨٤٣١٥٠

Zaepffel, C. (٢٠٢٥). Construire un « je » dans l'altérité : analyse de récits de voyage coloniaux fictifs pour la jeunesse. RELIEF - REVUE ÉLECTRONIQUE DE LITTÉRATURE FRANÇAISE, ١٩(٢), ١١٧–١٣٣. https://doi.org/١٠,٥١٧٧٧/relief٢٤٩٧٨

سيرة ذاتية

إلهام مذكر وُلِدَ في مدينة سامارياندا بتاريخ ٠٩ يوليو ٢٠٠٤م، من أبوين هما عابدين ورينا حميدة، وهو الابن الثاني من بين شقيقين. ينحدر الباحث من سامارياندا، كاليمانتان الشرقية، ويقيم حاليًا في معهد صراط الهدى لطلبة الجامعات في مالانج. بدأ مسيرته التعليمية في مؤسسة الحكمة الإسلامية بسامارياندا سبرانج، ثم واصل دراسته في المدرسة المتوسطة الحكومية *Model* بسامارياندا، وبعدها في المدرسة الثانوية الإسلامية الحكومية الثانية بسامارياندا. وإلى جانب نشاطه الأكاديمي كطالب جامعي، يشارك الكاتب أيضًا في خدمة معهد صراط الهدى الدينية بمدينة مالانج بصفته معلّمًا وطالبًا. وخلال فترة دراسته الجامعية، نشط في المشاركة في الأعمال التطوعية واللجان التنظيمية داخل جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج.